

منهج القرآن الكريم في تقويم انحرافات العقل الجمعي

د/السيد محمد حسن السيد
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق





ملخص البحث

منهج القرآن الكريم في تقويم انحرافات العقل الجمعي.

د/ السيد محمد حسن السيد
مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: elsayedzagzoug1475.el@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تأثير العقل الجمعي في تشكيل عقول الأفراد، وتحديد مساراتها، وكيفية تقويم انحرافاته من خلال المنهج القرآني.

والباعث على هذه الدراسة تزايد الانحرافات الفكرية والسلوكية، التي تستدعي العودة إلى المبادئ القرآنية؛ لمعالجة هذه الانحرافات، والتحرر من الجمود والتبعية وتشكل رؤية ذاتية للنهوض بأمتنا، فضلاً عن التصدي للحروب الفكرية، التي تزعزع استقرار المجتمعات.

وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وبدأت الدراسة بمقدمة شملت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وإشكالياته وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

ثم التمهيد الذي اشتمل على التعريف بأهم مصطلحات البحث، وبعض الفروع المتعلقة به.

ثم شرعت في المبحث الأول وجاء بعنوان: مظاهر الانحراف في العقل الجمعي وملامحه: وفيه ستة مطالب: تناولت فيها أبرز هذه المظاهر، والتي منها: إقصاء المخالف، وتلفيق الاتهامات، وقلب الحقائق وطمسها، ورفض الإنصات للرأي المخالف، والتكاتف لأجل تلاقي المصالح الفاسدة، وازدراء الخصم والتهاون في تقديره.



وأما المبحث الثاني فجاء بعنوان: الأسباب المؤدية إلى انصياع العقل الفردي لتأثير العقل الجمعي. وفيه خمسة مطالب: تناولت فيها أهم هذه الأسباب والتي منها: الرقود الفكري والعزوف عن استكشاف الأدلة والبراهين، والقصور العلمي والنقص المعرفي، وطرح النظر في عواقب الأمور ومآلاتها، والجمود على التقاليد الموروثة.

وأما المبحث الثالث فجاء بعنوان: منهج القرآن في إصلاح انحرافات العقل الجمعي وتصحيح مساراته. وفيه تسعة مطالب: والتي منها الارتقاء بالجانب الروحي للإنسان كمنطلق لتقويم العقل الجمعي، وترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية في مواجهة الانحرافات الجماعية، وإحياء واجب النصح والتوجيه كأداة لإصلاح المجتمع ... وغير ذلك.

وقد اتبعت في إنجاز هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي، ثم ذيلت البحث بخاتمة ضمنتها أبرز النتائج والتوصيات، والتي منها: تعزيز الدراسات الأكاديمية، التي تكشف النقاب عن منهج القرآن الكريم في التعامل مع الانحراف الفكري، والتركيز على تعليم الأجيال المبادئ القرآنية، المتعلقة بإصلاح المجتمعات، واعتماد هذه المناهج كمرجعية فكرية، وأخلاقية، ودمجها في المناهج الدراسية والتعليمية.

الكلمات المفتاحية: منهج – تقويم – الانحرافات – العقل – الجمعي.



the heart of the facts and obliteration, and the refusal to listen to the dissenting opinion, and solidarity for the convergence of corrupt interests, and contempt of the opponent and complacency in his estimation.

The second section was entitled: The reasons leading to the compliance of the individual mind to the influence of the collective mind. It contains five demands: the most important of these reasons, including: intellectual stagnation and reluctance to explore evidence and evidence, scientific deficiencies and lack of knowledge, and consideration of the consequences and consequences of things, and stagnation on inherited traditions.

The third section was entitled: The Qur'an's approach to reforming the deviations of the collective mind and correcting its paths. It contains nine demands: including the advancement of the spiritual aspect of man as a starting point for the evaluation of the collective mind, the consolidation of the principle of individual responsibility in the face of collective deviations, and the revival of the duty of advice and guidance as a tool for reforming society... and so on.

In the completion of this study, the inductive, analytical, and descriptive approach was followed, and then the research was appended with a conclusion that included the most prominent results and recommendations, including: strengthening academic studies, which reveal the approach of the Holy Qur'an in dealing with intellectual deviation, and focusing on teaching generations the Qur'anic principles, related to the reform of societies, and adopting these curricula as an intellectual and ethical reference, and integrating them into school and educational curricula.

Keywords: methodology – evaluation – deviations – mind – collective.



The approach of the Noble Qur'an in correcting the deviations of the collective mind.

Mr. Mohamed Hassan Alsayed
Email: elsayedzagzoug1475.el@azhar.edu.eg
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.

Abstract:

This study aims to shed light on the influence of the collective mind in shaping the minds of individuals, determining their paths, and how to correct its deviations through the Qur'anic method .

The motivation for this study is the increasing intellectual and behavioral deviations, which call for a return to the Qur'anic principles to address these deviations, freedom from stagnation and dependency and form a self-vision for the advancement of our nation, as well as confronting intellectual wars that destabilize societies.

The research was organized in an introduction, introduction, three sections, and a conclusion, and the study began with an introduction that included the importance of the topic, the reasons for its choice, its objectives, its problems and questions, its limits, previous studies, the research plan, and its methodology.

Then the introduction, which included the definition of the most important search terms, and some related branches.

Then proceeded in the first section and came entitled: manifestations of deviation in the collective mind and features: It has six demands: dealt with the most prominent of these manifestations, including: the exclusion of the violator, fabrication of accusations, and



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، ومن سلك طريقهم الى يوم الدين.

وبعد

فإن العقل منحة إلهية وهبة سنية، ميز الله تعالى به الإنسان عن سائر مخلوقاته ونال بكمال عقله حظًا وافرًا من الإعزاز والتكريم، وجعلت الشريعة الغراء من العقل أساسًا للتكليف، وقائدًا إلى معرفة الخالق عز وجل، حيث يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]

وعمل الشرع الشريف على تحرير العقل من أغلال التبعية والتقليد، الذي شل فكره ووأد إرادته، وعطل ملكاته، وجعله أسيرًا لأفكار أو موروثات قديمة، فإذا بالعقل ينهج نهجًا جديدًا في تحصيل المعرفة؛ ليتخذ منها عدة وبناء لحياة أفضل.

ولأجل أن يتحقق للإنسان ذلك؛ وجه القرآن الكريم أكبر دعوة لتحرير العقل الفردي من الأسر الجمعي، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[2] فنقل الإنسان من أسر العقل الجمعي إلى رحابة الفكر؛ حتى تكون مخرجاته صحيحة، وأراءه دقيقة.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩٠).

(٢) سورة سبأ الآية (٤٦).

ثم جاءت نصوص السلف بالنهي الصريح عن أن يعير الإنسان عقله للآخر، أو يرخي له عقاله، أو يكون صدى له؛ فروي موقوفًا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لا يكون أحدكم إمعة»، قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول: «إنما أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر»[(١)].

ولم يكن اهتمام الإسلام بالعقل لتحقيق الإبداع فحسب؛ بل لحماية الفرد ووقايته من الوقوع في الانحرافات السلوكية والفكرية، والتي من بينها اتباع نفس السلوكيات الجماعية ظناً بأنها صحيحة، والشعور معها بالأمان الشكلي، أو الانحياز إلى الآراء الجماعية بغض النظر عن مدى صحتها. ومن ثم جاءت فكرة هذا البحث للتوعية بضرورة إطلاق العنان لعقول الأفراد، ورفع القيود عنها، وإفساح المجال لطرح آرائها والإنصات لها.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع في دور العقل الجمعي، وتأثيره البالغ في تشكيل عقول الأفراد، وتحديد مساراتها، وتوجيهها وفقًا لطريقته، ودفعها إلى تبني مبادئه وقيمه الفكرية والأخلاقية؛ مما يؤدي إلى القضاء على استقلالية التفكير، ويجعل الفرد أكثر امتثالاً لما يملى عليه من قيم وأفكار، دون تفحصها أو

---

(١) أخرجه الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) في المعجم الكبير (١٥٢/٩)، حديث رقم (٨٧٦٥)، موقوفًا عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند صحيح، وأخرجه الإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، في سننه، كتاب:(البر والصلة)، حديث رقم (٢٠٠٧)، (٤٣٢/٢) من حديث حذيفة مرفوعًا بلفظ:" لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا..." الحديث، قال الإمام الترمذي:" هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.



النظر فيها، ويعمل على وأد التنوع الفكري، وتصعيد التعصب ضد الأفكار المغايرة.

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى الاستقلالية في الفكر، وإلى النظرة الناقدة التي تشكل رؤية ذاتية في مختلف القضايا؛ مما يؤدي إلى النهوض بمجتمعاتنا، ويفضي إلى تحقيق التوازن فيها؛ فضلاً عن التصدي للحروب الفكرية التي تزعزع استقرار المجتمعات، وتهدم التماسك المجتمعي.

أسباب اختيار الموضوع:

كان لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:

١- كشف اللثام عن بعض مظاهر الانحرافات العقلية، وأسبابها، وبيان طريقة القرآن الكريم في علاجها وتقويمها.

٢- إبراز دور القرآن الكريم في معالجة الانحرافات الفكرية، والتصدي لها، وتجفيف منابعها، وتحرير العقل من القيود التي تعطله عن وظيفته، وتعوق عملية تفكيره.

٣- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية بدراسات حول كيفية معالجة القضايا العقلية والمجتمعية، في ضوء النصوص القرآنية.

٤- تلبية دعوات علماء الاجتماع في ربط النصوص القرآنية بالعلوم الاجتماعية ومعالجة القضايا المجتمعية في ضوء الآيات القرآنية.

أهداف الموضوع:

يطمح الباحث من خلال كتابة هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- الاستفادة من المنهج القرآني في معالجة واقع الناس، والربط بين النصوص القرآنية والواقع المعاصر.

٢- بيان بعض مظاهر الانحراف التي تصيب العقل الجمعي، وتحديد أسبابها وطرق علاجها.

٣- التأكيد على إعلاء شأن القيم القرآنية في تماسك المجتمعات، وتشكيل العقول وحمايتها من الانحرافات.

٤- صياغة رؤية شاملة مستمدة من النصوص القرآنية؛ لبناء وعي جمعي قائم على القيم الإيجابية، والنظرة النقدية، والاستقلال الفكري.

إشكاليات البحث وتساؤلاته:

ما مفهوم العقل الجمعي؟ وما أبرز الانحرافات السلوكية والفكرية التي تنشأ عنه؟

إلى أي مدى أسهمت الآيات القرآنية في تقويم الانحرافات الفكرية؟

ما مدى اهتمام القرآن الكريم بصنع عقلية الفرد والمجتمع، وجعله قادرًا على اتخاذ قراراته؟

ما الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في توجيه العقل الجمعي إلى الصواب؟

ما مدى تأثير المصالح الفردية، والقوانين الاجتماعية والموروثات على تشكيل العقل الجمعي؟

فجاءت هذه الدراسة إيضاحًا لهذه الإشكاليات، وإجابة عن هذه التساؤلات.

حدود الدراسة:

تهتم هذه الدراسة بمعالجة انحرافات العقل الجمعي، دون الخوض في الخلافات الفلسفية، التي تعرضت لهذا المفهوم وظهوره من الناحية الزمنية، والاقتصار على دراسة الآيات القرآنية، التي تتصل بهذه القضية، وتحليلها، واستنباط بعض هذه الانحرافات وأسبابها، وطرق معالجتها في ضوء هذه الآيات القرآنية.



الدراسات السابقة:

وقفت على بعض الدراسات التي عرضت لقضية العقل الجمعي، وسأقوم بذكرها، ثم أبين الفرق بين هذه الدراسات وبين دراستي:

١- مواقع التواصل الاجتماعي والعقل الجمعي دراسة استقرائية، د/ نوف عبد اللطيف الحزامي، كلية الآداب جامعة الملك سعود، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية المجلد الواحد والعشرون، العدد الثاني، سنة ٢٠٢١م.

وقد تناول هذا البحث تحليل ظاهرة العقل الجمعي، وبحث مدى وجود علاقة بينها وبين سمات مواقع التواصل الاجتماعي، وما إذا كانت بيئة مواقع التواصل الاجتماعي يمكن أن تؤثر على تفكير مستخدميها، وتحفز نمو العقل الجمعي وانتشاره، وانتهت الدراسة إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي تمثل مناخًا ملائمًا، وبيئة محفزة لانتشار العقل الجمعي.

٢- الإعلام وتجريف العقل الجمعي في مرحلة التحول الديمقراطي، د/ محمد سيد أحمد، الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، الجيزة، الطبعة الأولى: سنة ٢٠١٥م.

وهذه الدراسة تلقي الضوء على بعض القضايا والمشكلات الاجتماعية، ومعالجة الإعلام لها بأساليب تعمل على تزييف وعي الجماهير وتسطيحه، فتتحول من وسائل لتشكيل الوعي الاجتماعي إلى وسائل لتزييفه، وإبعاد أذهانهم عن قضايا مجتمعهم الأساسية.

٣- العقل الجمعي الإلكتروني وأزمة الوعي: دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، حولية كلية الآداب جامعة عين شمس، إعداد: بروين حسين علي، المجلد ٥١ عدد أكتوبر – ديسمبر سنة ٢٠٢٣م.



وتسلط هذه الدراسة الضوء على العقل الجمعي، وطرح آراء العلماء بشأن وجوده وتأثيره في الأفراد، فضلاً عن التعرف على عوامل خلق بيئة مساهمة في وجود العقل الجمعي الإلكتروني، وانسياق الأفراد له مما يسهم في أزمة الوعي.

والفرق بين هذه الدراسات الثلاثة وبين دراستي واضح جلي؛ حيث ركزت هذه الدراسات على تأثير التكنولوجيا الرقمية، ومواقع التواصل الاجتماعية على العقل، وعلى دور وسائل الإعلام في تشكيل العقل الجمعي أو تحريفه، فهي تعتمد على منهجيات علم الاجتماع، أو الإعلام، أو التكنولوجيا، بخلاف دراستي التي تعتمد المنهج القرآني في بيان انحرافات العقل الجمعي ومعالجتها.

٤- العقل الفردي والعقل الجمعي وأثرهما في نفسية المدعو، د/ محمود رشاد محمد عبد الغني، مجلة كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، المجلد السابع، الإصدار الثاني، العدد الرابع والعشرون عام ٢٠١٠م.

تناول هذ البحث أثر العقل في هداية النفس، والمؤثرات الخارجية في العقل الفردي والتي كان منها الإلف والوراثة عن الآباء، والاتباع الأعمى لأصحاب الملك والسلطان، ثم الكلام عن ضبط العقل الفردي بقواعد التفكير السليم، ثم تعرضت الدراسة للمؤثرات في العقل الجمعي، والتي منها: العادات والتقاليد، والتربية المتحزبة، والهزيمة النفسية، وبلاد الحواس، والإعلام الموجه، ثم أخيرًا أهم الأساليب الدعوية الملائمة للعقل.

والطابع الغالب على هذه الدراسة أنها دراسة دعوية تهدف إلى تحسين وسائل الدعوة وأساليبها، وفهم نفسية المدعو، أما الغالب على دراستي أنها دراسة تفسيرية قائمة على إبراز مظاهر انحراف العقل الجمعي، من خلال آيات القرآن الكريم، والتي لم تتعرض لها الدراسات السابقة، وكذلك إبراز كيفية معالجة القرآن الكريم لهذه الانحرافات بالرجوع إلى كتب التفسير وآراء المفسرين.



وهناك العديد من المقالات المنشورة عبر الانترنت، والتي تناولت قضية العقل الجمعي، لكنها غالبًا ما تركز على الجوانب الاجتماعية، أما دراستي فتتناول هذا الموضوع من زاوية قرآنية، تسلط الضوء على أبعاده من منظور الوحي الإلهي.

خطة البحث ومنهجه:

انتظم البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وإشكالياته وتساؤلاته،

وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد: ففيه التعريف بأهم مصطلحات البحث، وبعض الفروع المتعلقة به، ويشتمل على:

أولاً: تعريف الانحراف لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف العقل الجمعي.

ثالثًا: كيفية تشكل العقل الجمعي.

رابعًا: أنواع العقل الجمعي.

خامسًا: تبعات العقل الجمعي السلبي وآثاره.

وأما المبحث الأول: فبعنوان: مظاهر الانحراف في العقل الجمعي وملامحه: وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إقصاء المخالف ورفض الاعتراف به وإنصافه.

المطلب الثاني: تلفيق الاتهامات وتشويه صورة المخالفين.

المطلب الثالث: قلب الحقائق وطمسها.

المطلب الرابع: رفض الإنصات للرأي المخالف.

المطلب الخامس: التكاتف لأجل تلاقي المصالح الفاسدة.



المطلب السادس: ازدراء الخصم والتهاون في تقديره.

المبحث الثاني: بعنوان: الأسباب المؤدية إلى انصياع العقل الفردي لتأثير العقل الجمعي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الرقود الفكري والعزوف عن استكشاف الأدلة والبراهين.

المطلب الثاني: الجهل والقصور العلمي والنقص المعرفي.

المطلب الثالث: طرح النظر في عواقب الأمور ومآلاتها.

المطلب الرابع: تغليب هوى الإنسان على رشده، وتوافق الآراء التي يتبناها مع ميوله وغرائزه.

المطلب الخامس: التقليد الأعمى والجمود على العادات الموروثة.

المبحث الثالث: بعنوان: منهج القرآن في إصلاح انحرافات العقل الجمعي وتصحيح مساراته، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الارتقاء بالجانب الروحي للإنسان كمنطلق لتقويم العقل الجمعي.

المطلب الثاني: ترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية أو الشخصية في مواجهة الانحرافات الجماعية.

المطلب الثالث: إحياء واجب النصح والتوجيه كأداة لإصلاح المجتمع.

المطلب الرابع: الربط القرآني بين إيجابية العقل الجمعي والثواب، وسلبيته والعقاب.

المطلب الخامس: دعوة القرآن الكريم إلى تحصيل المعرفة وتفعيل أدواتها.

المطلب السادس: جعل الغايات والعواقب محركًا لإرادة الناس، ودافعًا لإصلاح العقل الجمعي.

المطلب السابع: تحديد القرآن الكريم معيار المفاضلة بين الأشياء بصفتها لا بعددها، وبجوهرها لا بكثرتها.



المطلب الثامن: خطاب القرآن للعقل والفطرة؛ لتحقيق الاستفادة منهما والرجوع إليهما.

المطلب التاسع: تعزيز القرآن الكريم من مفاهيم الحوار والتشاور؛ ضمانًا لاتخاذ القرارات الجماعية الصحيحة.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من البحث، وفهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث

اعتمدت في هذا العمل على ثلاثة مناهج علمية:

أولاً: المنهج الاستقرائي: حيث تتبعت – قدر استطاعتي – النصوص التي تناسب البحث.

ثانيًا: المنهج التحليلي: حيث قمت بتحليل هذه النصوص، ودراستها، وبيان مقصودها، وربط بعضها ببعض لتحقيق هدف البحث وغايته ومعالجة إشكالياته.

ثالثًا: المنهج الوصفي: حيث تصف هذه الدراسة العقل الجمعي، وكيفية انسياق الأفراد له، وتحديد العوامل التي تسهم في تشكيله.

وكانت خطواتي فيه على النحو التالي:

تتبعت الآيات المتعلقة بموضوع البحث تصريحًا أو تلويحًا، وترتيبها وتصنيفها؛ حتى تعطي صورة كاملة عن موضوع الدراسة.

عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع الحرص على نقلها برسم المصحف.

بينت معنى الآيات عقب الانتهاء من عرضها حسب ما يقتضيه المقام؛ بالرجوع إلى كتب التفسير وغيرها، مما له علاقة بموضوع البحث.

حرصت على أن تكون العناصر المعنونة من صميم أقوال المفسرين – قدر الإمكان –.



خرجت الأحاديث من مصادرها الأصيلة، واكتفيت بعزوها إلى الصحيحين إن كان في أحدهما أو كليهما، وإلا بحثت عن حكم العلماء عليها، وبيان درجتها – قدر استطاعتي – .

لم أتعرض لترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث لعدم الإطالة، ولإمكان معرفة ذلك من كتب التراجم.

شرحت ما يحتاج إلى توضيح من ألفاظ غامضة، وضبطت ما يحتاج منها إلى ضبط.

رتبت المصادر والمراجع ترتيبًا معجميًا، واكتفيت بذكر بيانات الكتب في فهرس المصادر والمراجع؛ تخفيفًا للحاشية ولعدم إثقالها بما يمكن أن يُعْلَم من مكان آخر، وعمدت إلى ذكر اسم مؤلف الكتاب كاملًا محققًا مدققًا مثبتًا تاريخ وفاته – قدر إمكاني – في أول موضع لوروده، مكتفيًا بذلك عن الترجمة له، إذا ورد ذكره في ثنايا البحث فيما بعد.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصًا، وأن يرزقني فيه التوفيق والسداد.



التمهيد، وفيه:
التعريف بأهم مصطلحات عنوان البحث وبعض الفروع المتعلقة به.

أولا: تعريف الانحراف لغة واصطلاحًا:

الانحراف لغة:

مأخوذ من مادة (ح ر ف) التي تدل على الميل والعدول.

قال الإمام الجوهري:" انْحَرَفَ عنه وتحرّفَ واحرورف، أي مال وعدل[١].

وقال الإمام ابن فارس:" انحرف عنه ينحرف انحرافا. وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه[٢].

وجاء في معجم اللغة العربية:" انحرف الشَّخصُ: مال عن جادّة الصّواب، حاد عن الطّريق المستقيم، "انحرفت غريزتُه"[٣].

الانحراف اصطلاحًا:

هو السلوك الذي يقوم به الفرد، ويتصف هذا السلوك بما لا يتفق مع سلوك الأسوياء من المجتمع بحيث يخالف التقاليد، والأعراف، والقيم الأخلاقية والدينية لهذا المجتمع[٤].

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٣٤٣/٤/ حرف)، للإمام: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤٢/٢/ حرف)، للإمام: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ).

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٤٧٥/١/ ح ر ف)، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل.

(٤) موسوعة علم النفس الحديث، دراسات في الجنوح والانحراف (١٠/٢٤)، تأليف: محمد عبد الرحمن العيسوي.



ثانيا: تعريف العقل الجمعي:

مصطلح العقل الجمعي مركب بياني وصفي يتألف من كلمتي " العقل والجمعي " وتعريف هذا المركب يعتمد على تعريف كل جزء من أجزائه أولاً، ثم نقوم بتعريفه باعتباره مركبًا وصفيًا، إذ إن تعريف المركبات إنما يتضح ببيان المفردات.

العقل لغة:

العين والقاف واللام أصل واحد، يدل عُظمُه على حُبسَةٍ في الشيء أو ما يقارب الحبسة. ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل(١).

قال الخليل بن أحمد:" العقل: نقيض الجهل. عقل يعقل عقلاً فهو عاقل. والمعقول: ما تعقله في فؤادك. ويقال: هو ما يفهم من العقل، وهو العقل واحد، كما تقول: عدمت معقولاً، أي: ما يفهم منك من ذهن أو عقل(٢).

وجاء في لسان العرب:" العَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِد الحُمْق، والجمع عقول ... وعقل، فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء. ورجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عَقَلْتُ البَعيرَ إذا جَمَعْتَ قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم: قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام... وسُمِّي العَقْلُ عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحبسه، وقيل: العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان، ويقال: لِفُلان قَلْبٌ عَقُول ولِسانٌ سَؤُول وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمٌ، وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً فَهِمه(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦٩/٤/ عقل).

(٢) العين (١٥٩/١/ عقل)، للإمام: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ).

(٣) ينظر: لسان العرب (٤٥٨/١١/عقل)، للإمام: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ).



ولم يرد لفظ العقل في القرآن الكريم، وإنما ورد بصيغة الفعل في تسع وأربعين موضعًا، وقد آثر القرآن الكريم صيغة المضارعة في ثمان وأربعين موضعًا منها:" يعقلون، و تعقلون، ونعقل" بينما عبر بالماضي في واحد منها في قوله تعالى :﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1]

مما يدلنا على أنه ينبغي أن يستمر التعقل ويتجدد فينا حينًا بعد آخر؛ ليعطي في كل مرة عطاءً جديدًا، يتوافق مع مستجدات الحياة وتطورها، كما يشير إلى ذلك التعبير بصيغة المضارعة التي تدل على التجدد والاستمرار.

العقل اصطلاحًا:

حظي مفهوم العقل باهتمام العلماء، ومضى كل منهم في تفسيره وبيان معناه؛ تبعًا للمنهج الذي ينتهجه، والمذهب الذي ينتمي إليه، ولذا اختلفت تعبيرات العلماء في بيان معنى العقل اصطلاحًا.

فعرفه الإمام زكريا الأنصاري بقوله:" غريزة يهيأ بها لدرك العلوم النظرية، ويقال: إنه نور يقذف في القلب ويقال غير ذلك[2].

وعرفه الإمام ابن حبان بقوله:" العقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطأ"[3].

وعرفه الإمام الباجي بقوله:" العلم الضروري الذي يقع ابتداءً ويعم العقلاء[1].

---

(١) سورة البقرة الآية (٧٥).

(٢) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص٦٧)، للإمام: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص١٦)، للإمام: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ).



وعرفه الإمام ابن عطية بأنه:" الإدراك المانع من الخطأ[٢].

وعرفه الإمام ابن حزم بقوله:" العقل قوة تميز بها النفس جميع الموجودات على مراتبها، أو تشاهد بها ما مر عليها من صفاتها الحقيقية لها فقط، وتنفي بها عنها ما ليس فيها[٣].

والراجح في تعريف العقل: أن العقل لا يمكن حده بحد واحد يحيط به، وهذا ما ذهب إليه الإمام الغزالى، وعلة ذلك عنده: أن العقل اسم مشترك يطلق على عدة معان.

حيث يقول الإمام الغزالي رحمه الله:" اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان، إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية، ويطلق على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة... ويطلق على من له وقار وهيبة، وسكينة في جلوسه وكلامه ... وقد يطلق على من جمع العمل إلى العلم... فإذا اختلفت الاصطلاحات؛ فيجب بالضرورة أن تختلف الحدود، فيقال في حد العقل باعتبار أحد مسمياته: إنه بعض العلوم الضرورية كجواز الجائزات واستحالة المستحيلات...، وبالاعتبار الثاني: إنه غريزة يتهيأ بها النظر في المعقولات وهكذا بقية الاعتبارات[٤].

---

(١) الحدود في الأصول (ص٩٩)، للإمام: أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤ هـ).

(٢) المحرر الوجيز (١/١٣٧)، للإمام: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ).

(٣) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (ص١٨٠)، للإمام: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ).

(٤) المستصفى (ص٢٠)، للإمام: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ).



وإلى هذا ذهب الإمام ابن الجوزي حيث يقول:" واعلم أن التحقيق في هذا أن يقال هنا: الاسم أعني العقل ينطلق بالاشتراك على أربعة معان: أحدها: الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب، يستعد به لإدراك الأشياء، والثاني: ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً، والرابع: أن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة[1].

وهكذا نجد العقل يطلق على هذه المعاني الأربعة مجتمعة، فيطلق على العلوم الضرورية، والغريزية، والمكتسبة، والعمل بالعلم، وكذلك نجد المعنى الاصطلاحي لم يخرج بعيدًا عن المعنى اللغوي، فهو منبثق عنه، ومتفق مع دلالته.

تعريف كلمة الجمعي لغة:

نسبة إلى الجمع، والجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء[2]، فالجمع ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض[3]، وهو خلاف التفريق، يقال: جمعت الشيء أجمعه جمعًا؛ إذا ضممت بعضه إلى بعض[1].

---

(١) كتاب الأذكياء (ص١١)، للإمام: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٩٧/١/ جمع).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣٩٠/٢)، للإمام: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ).

قال الأزهري:" والجمع: أن تجمع شيئًا إلى شيء"[٢]، فهو تأليف المتفرق[٣].

تعريف الجمعي اصطلاحًا:

جاء في معجم العلوم الاجتماعية:" مشتق من الاجتماع ويراد به ما ينشأ عن اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض، واحتكام أفكارهم، وتقابل وجداناتهم ونزعاتهم"[٤].

تعريف العقل الجمعي:

ظاهرة تفترض فيها الجماهير أن تصرفات الجماعة في حالة معينة تعكس سلوكًا صحيحًا، ويزداد تأثير العقل الجمعي في الحالات أو الظروف التي يشيع فيها غموض اجتماعي، أو حيرة، وتفقد الجماهير فيها قدرتها على تحديد السلوك المناسب، فيفترض فيها الفرد أن الآخرين يعرفون أكثر منه عن تلك الحالة[٥].

وعرف بأنه:" المعتقدات والآراء والتصورات التي يتبناها المجتمع ويتخذها أساسًا لتقييم الأمور، وهو من الجماعة بمثابة الضمير من الفرد"[٦].

(١) جمهرة اللغة (٤٨٣/١/ جمع)، للإمام: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ).

(٢) تهذيب اللغة (٢٥٤/١/جمع)، للإمام: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ).

(٣) تاج العروس (٤٥١/٢٠/ جمع)، للإمام: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ).

(٤) معجم العلوم الاجتماعية (ص٤٤٩)، إعداد نخبة من الأساتذة، تصدير ومراجعة د/ إبراهيم مدكور.

(٥) مواقع التواصل الاجتماعي والعقل الجمعي دراسة استقرائية (ص٣٨٥)، د/ نوف عبد اللطيف الحزامي.

(٦) موقع مجمع اللغة العربية : https://www.arabicacademy.gov.eg



وعرف بأنه:" ظاهرة اجتماعية نفسية تمارس فيها الجماعة سطوتها على الأفراد مما يفقدهم القدرة على تحكيم العقل، وتمييز الحق من الصواب، وتحديد السلوك المناسب، على افتراض أن الأكثرية تملك الآراء الصحيحة، والأقلية تتبعهم"(١).

وجاء في المعجم الفلسفي:" هو من الجماعة بمثابة الضمير من الفرد فيصدر أحكامًا مباشرة على القيم الأخلاقية لأعمال معينة، يرضى ويسخط ويحبذ أو يثور ويتألم، وقد قال به دوركايم فذهب إلى أن الظواهر الاجتماعية أمور تنشأ خارج الفرد وتفرض نفسها عليه(٢).

وفي ضوء هذه التعريفات نجد العقل الجمعي مصطلح يشير إلى تلك الظاهرة الاجتماعية، التي تمارس فيها الجماعة تأثيرًا قويًا على الأفراد، وتدفع الفرد إلى تبني سلوكياتها وأرائها باعتبارها صحيحة؛ لا سيما في المواقف التي تسود فيها الحيرة أو الغموض، حيث يعتقد الفرد أن الجماعة تمتلك قدرًا أكبر من المعرفة، وحظًا وافرًا من السلوك الصحيح، مما يقعده عن اتخاذ قرارات مستقلة، ويجعله عاجزًا عن تحديد السوك الأنسب، وقد ذهب عالم الاجتماع الفرنسي دور كايم إلى أن العقل الجمعي ينشأ خارج الأفراد، ويعمل على فرض سطوته عليهم، وتتبع الأقلية رأي الأكثرية اعتقادًا منهم أن الأغلبية تمتلك الحقيقة. مما يكشف عن تلاشي شخصية الفرد أمام كيان الجماعة.

وعلى ما ذُكر فإن انحرافات العقل الجمعي إنما تحصل بالخروج عن المبادئ الدينية، والقيم الأخلاقية، والمعايير المجتمعية المتعارف عليها، ولا يقتصر

---

(١) العقل الجمعي الإلكتروني وأزمة الوعي: دراسة تحليلية من منظور اجتماعي (ص٣٥٥)، تأليف: بروين حسين علي.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي (ص١٢١) مجمع اللغة العربية، تصدير: د/ إبراهيم مدكور.



الانحراف على جانب السلوك والتصرفات بل يمتد ليشمل الانحرافات العقدية والفكرية، إذ إن الانحرافات العقدية هي الأساس الذي انطلقت منه جميع الانحرافات.

كيفية تشكل العقل الجمعي:

يتشكل العقل الجمعي من اندماج العقول الفردية عن طريق الإيمان بالقيم والأفكار والمصالح المشتركة؛ مما يؤدي إلى ظهور كيان فكري جديد.

ويتشكل أيضًا بفعل التأثير المزمن لمنظومة من العوامل التربوية والثقافية والاجتماعية، من عادات وتقاليد، وإيمان ديني وغير ديني، وتأثير جملة من المفاهيم في حقب تاريخية مختلفة، تنشأ عليها مجموعة اجتماعية معينة؛ حيث يصبح مظهر جمعي يصبغ سلوك الأغلبية، أي: تجسيد لما تؤمن به أو يتشارك به المجتمع من رؤية أو تفكير، ويصبح بمثابة موجه للفرد في حياته ومسيطر عليه، ومحدد لانطباعاته، وتفكيره، ومواقفه إزاء الأحداث والأزمات التي يعيشها(١).

أنواع العقل الجمعي:

العقل الجمعي نوعان:

النوع الأول: عقل جمعي إيجابي: نابع من تمسكه بالقيم الإنسانية العُليا، كالحرية والعدل والإيثار، والصدق، والعفة، يتعاون فيه أفراد المجتمع لتحقيق المصالح العليا، والمثل القويمة التي تنعكس آثارها الإيجابية على المجتمع كله،

---

(١) ينظر: مسألة القضاء والقدر في الفكر الإسلامي؛ وتأثيرها على واقعنا المعاش من الطرح الفقهي وتشكيله للعقل الجمعي إلى تصور محمد شحرور للمسألة (ص٣١٣)، للباحث: مبارك بو على.



ومنطلق هذا قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] فهي دعوة قرآنية إلى تعزيز روح التعاون، والتضامن بين الأفراد، وتحفيز الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وضبط سلوك الفرد داخل الجماعة، وتهذيب نوازع الفرقة والأنانية.

وكثيرًا ما أمر الشرع الشريف المكلف بامتثال كثير من العبادات في جماعة كالصلاة، والحج، والدعاء؛ لتعزيز إيجابيته الاجتماعية، حيث تتربى نفسه على معاني الانضباط، وتتعرض لأجواء الرحمة الشاملة.

يقول الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[2]:" لم قال اهدنا ولم يقل اهدني؟ والجواب ... أن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب[3].

وقد ركزت الشرائع على التقوى الفردية والاجتماعية؛ ليكون عقل المجتمع الجمعي إيجابيًا، فكلما كانت الأفكار والقيم المجتمعية إيجابية كان العقل الجمعي إيجابيًا.

النوع الثاني: عقل جمعي سلبي: ينافي الفطرة البشرية، والكرامة الإنسانية والأخلاق السليمة، تلتبس عنده المفاهيم، وإذا به يرى القبيح حسنًا والحسن قبيحًا، ويسلب الفرد القدرة على التفكير المستقل، ويفقده القدرة على الإبداع والابتكار؛ فتنعدم الحركة الإبداعية في الحياة، ويعزز الميل إلى

---

(١) سورة المائدة الآية (٢).

(٢) سورة الفاتحة الآية (٦).

(٣) مفاتيح الغيب (٢١٩/١)، للإمام: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ).



التظاهر والمراءاة والتصنع؛ فيدفع الفرد إلى العمل بجد ونشاط أمام المجموع، بينما في العزلة يميل الفرد إلى التقاعس والخمول، وفقدان الرغبة في العمل(١).

ورغم أهمية العقل الجمعي الإيجابي، إلا أن العقل الجمعي السلبي يظهر تأثيره بشكل أكبر، لاسيما في المجتمعات التي درجت على تقديس الموروثات، وتعطيل القدرات الإبداعية، وإعلاء شعار المصالح الفردية أو التعصبات القبلية أو المذهبية، ومن هنا كانت الحاجة إلى دور العلماء والمفكرين والمصلحين؛ لتغيير التصورات الجمعية الخاطئة، واستبدالها بالتصورات الجمعية الصحيحة.

تبعات العقل الجمعي السلبي وآثاره:

للعقل الجمعي السلبي تبعات، وآثار كثيرة على المجتمعات، فمع تعود الإنسان على العقل الجمعي؛ يغيب وعيه عن ذاته ورغباته وآرائه، ويصبح كائنًا مجهولا بسبب اختفاء وعيه وخياره الذاتي، فتتوقف مهارة التفكير الناقد لديه، وترتفع أهمية المشاعر على المنطق والعقل، كما يغيب وعي الإنسان عن مسؤوليته؛ فيشعر بعدم المسؤولية تجاه ما يفعله؛ لأنه يفعله بوعي جمعي لا فردي، وتنتشر فيه المعلومات الخاطئة والإشاعات بسهولة؛ بسبب غياب النقد والمنطق، وهذه البيئة تصبح بيئة خصبة للتعصب الفكري، ويمكن أن تنتشر فيها الاتجاهات العنصرية بسهولة(٢).

---

(١) ينظر: دوامة العقل الجمعي، الرابط عبر الانترنت https://alseraj.net/speech

(٢) ينظر: مواقع التواصل الاجتماعي والعقل الجمعي دراسة استقرائية (ص٣٨٦)، د/ نوف عبد اللطيف الحزامي.



المبحث الأول
مظاهر الانحراف في العقل الجمعي وملامحه:

إذا كان للعقل الجمعي دور في البناء والتوجيه، إلا أنه لا يخلو من مواطن الضعف، التي تنتهي به إلى انحرافه عن المسار القويم، وتتجلى خطورة هذه الانحرافات في التأثير على التوجهات الفكرية، والقرارات الجماعية، مما ينعكس سلبًا على تماسك المجتمع واستقراره؛ لذا كان من الضروري تسليط الضوء على أبرز هذه الانحرافات، ومعرفة أسبابها قبل بيان منهج القرآن الكريم في تقويمها ومعالجتها، وقد بينت أبرزها فيما يأتي من مطالب:

المطلب الأول:
إقصاء المخالف ورفض الاعتراف به وإنصافه:

إقصاء المخالف لون من ألوان العقوبة التي تلحق أصحاب المواقف المخالفة للرأي السائد أو المهيمن، ويكون عند انقطاع الحجة، وافتضاح الأمر فلا يبقى مفزع إلا المناصبة والمعاداة والانصراف إلى طريق القهر، وإظهار الغلبة بأي وجه كان.

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف عند بيانه لموقف الأمم الغابرة مع أنبيائها وعرض القرآن الكريم صورًا من صور الإقصاء كالإخراج، أو التحريق، أو القتل؛ لَمَّا عجزوا عن المحاجة، وضاقت عليهم الحيل، وعييت بهم العلل.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ﴾(١)

يقول الإمام ابن عاشور:" كان جوابهم عن حجة شعيب جواب المفحم عن الحجة، الصائر إلى الشدة، المزدهي بالقوة، المتوقع أن يكثر معاندوه، فلذلك

---

(١) سورة الأعراف الآية (٨٨).



عدلوا إلى إقصاء شعيب وأتباعه عن بلادهم؛ خشية ظهور دعوته بين قومهم، وبث أتباعه دعوته بين الناس"(١).

وكان إخراج المغضوب عليه من ديار قبيلته عقوبة متبعة في العرب إذا أجمعت القبيلة على ذلك؛ ويسمى هذا الإخراج عند العرب بالخلع، والمخرج يسمى خليعًا"(٢).

وورد الإقصاء بالإخراج أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٣).

ويحصل التهديد بالإقصاء لأجل الكف عن المعارضة، كما يقول الإمام البقاعي في تفسير الآية:" بأن تكفوا عن معارضتنا كما كنتم دعوى الرسالة، فإطلاق ملتهم على السكوت عنهم من إطلاق اسم الكل على الجزء على زعمهم"(٤).

والباعث على هذا التهديد ما ذكره الإمام الرازي بقوله:" إن أهل الحق في كل زمان يكونون قليلين، وأهل الباطل يكونون كثيرين، والظلمة والفسقة يكونون متعاونين متعاضدين، فلهذه الأسباب قدروا على هذه السفاهة"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير (٥/٩)، للإمام: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ).

(٢) التحرير والتنوير (٥/٩).

(٣) سورة إبراهيم الآية (١٣).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٣٩٧/١٠)، للإمام: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ).

(٥) مفاتيح الغيب (٧٦/١٩).



ومن صور الإقصاء التحريق كما ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:
﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[١].

يقول الإمام القرطبي:" لما انقطعوا بالحجة أخذتهم عزة بإثم، وانصرفوا إلى طريق الغشم والغلبة وقالوا: حرقوه"[٢].

فحين يُسقط المحق حجة المبطل ويقوم بضحض باطله؛ يصبح المبطل أكثر كراهية للمحق، ولا يجد مخرجًا سوى معاداته.

يقول الإمام الزمخشري في تفسيرها:" وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح، لم يكن أحد أبغض إليه من المحق، ولم يبق له مفزع إلا مناصبته، كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة"[٣].

يقول الإمام أبو حيان:" ولما نبههم على قبيح مرتكبهم، وغلبهم بإقامة الحجة عليهم لاذوا بالإيذاء له والغضب لآلهتهم، واختاروا أشد العذاب، وهو الإحراق بالنار، التي هي سبب للإعدام المحض والإتلاف بالكلية، وكذا كل من أقيمت عليه الحجة، وكانت له قدرة؛ يعدل إلى المناصبة والإذاية، كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دمغهم بالحجة، وعجزوا عن معارضة ما أتاهم به؛ عدلوا إلى الانتقام وإيثار الاغتيال، فعصمه الله[٤].

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٦٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١١)، للإمام: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ).

(٣) الكشاف (١٢٥/٣)، للإمام: أبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ).

(٤) البحر المحيط (٤٥٠/٧)، للإمام: أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ).



وحين تضيق على المبطل مسالك النظر ويعجز عن إقامة الحجة؛ ينصرف إلى إظهار باطله، ولو بالقهر والقوة، كما يقول الإمام القونجي:" قال بعضهم لبعض لما أعيتهم الحيلة في دفع إبراهيم عليه السلام، وعجزوا عن مجادلته وضاقت عليهم مسالك المناظرة. (حرّقوه) انصرافاً منهم إلى طريق الظلم والغشم، وميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان، وعلى أي أمر اتفق؛ وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة، وافتضح؛ لا يبقى له مفزع إلا المناصبة(١).

المطلب الثاني:
تلفيق الاتهامات وتشويه صورة المخالفين:

وهي صورة من صور الخداع والتضليل؛ لتنفير الناس من أصحاب الفكر المخالف، وهو سلاح شهرته الأمم في وجه أنبيائها من قديم الزمان، وقد ذكر القرآن الكريم صورًا متعددة لذلك منها:

اتُّهِمَ نبي الله موسى عليه السلام بالسحر، وبالتآمر على أهل مصر؛ لإخراجهم من وطنهم وأرضهم، وجعل فرعون من هذه التهم متكأ لعدوانه عليه ومن معه، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قول الله تعالى:﴿ **قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ** ﴾(٢).

---

(١) فتح البيان (٨/٣٤٦)، للإمام: أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ).

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٠٩:١١٠).

وقد صدر منهم هذا القول على سبيل التنفير من موسى عليه السلام؛ لئلا يقبلوا قوله، إذ من أشد الأمور على النفوس مفارقة الوطن الذي نشأوا فيه؛ فيلزم منه اتباع الناس لفرعون وملائه ويتمكن مما يريد.

يقول الإمام الرازي:" وهذا يجري مجرى التنفير عنه؛ لئلا يقبلوا قوله، والمعنى: يريد أن يخرجكم من أرضكم بما يلقيه بينكم من العداوات، فيفرق جمعكم، ومعلوم أن مفارقة الوطن أصعب الأمور، فنفرهم عنه بذلك، وهذا نهاية ما يفعله المبطل في التنفير عن المحق[1].

وقال الإمام البيضاوي:" بهره سلطان المعجزة، حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم، وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى، وإظهار الاستشعار عن ظهوره، واستيلائه على ملكه[2].

وما ذاك إلا لبلوغ قوة المعجزة مداها، حتى يقر كل ذي لب بأنه ليس من السحر البتة.

واتَّهَم قوم ثمود نبيهم صالحًا عليه السلام، وقابلوا دعوته الإصلاحية بهذا الحكم الجائر فرموه بالكذب، والتعاظم عليهم بادعائه النبوة من غير استحقاق لها، وهما رزيلتان كل منهما مانع من اتباعه، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنهم بقوله تعالى:﴿ **فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ** ﴾[3]

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٠١/٢٤).

(٢) أنوار التنزيل (١٣٧/٤)، للإمام: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ).

(٣) سورة القمر الآيات (٢٤:٢٥).



يقول الإمام المراغي:" أي: أأنزل عليه الوحي من بيننا، وأوتى النبوة وهو واحد منا؟ ولم اختصه الله بإنزال الشرائع عليه وهو ليس بملك مكرّم؟ الحق إنه لكذاب متجبر، يريد أن تكون له السيطرة والسلطان علينا، ويودّ أن يكون الرئيس المطاع، وما ذاك إلا بما زينته له نفسه، وأغواه به الشيطان، ولا يستند إلى وحي سماوي، ولا أمر إلهي[١].

واتَّهَم قوم نوح نبيهم نوحًا عليه السلام بالجنون، ولم يكتفوا بتكذيب هاديهم ومرشدهم رغم إقامة الأدلة على صدقه، بل لسوء أخلاقهم وانطماس بصيرتهم؛ زجروه وتواعدوه على تبليغ الدعوة بمختلف أنواع الإيذاء والشتم والتخويف، وبين القرآن ما كانوا عليه فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٢]

يقول الإمام الرازي:" وقالوا مجنون إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا منه، وقالوا: هو مصاب الجن، أو هو لزيادة بيان قبح صنعهم حيث لم يقنعوا بقولهم إنه كاذب، بل قالوا: مجنون، أي: يقول ما لا يقبله عاقل، والكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق فقالوا: مجنون، أي: يقول ما لم يقل به عاقل فبين مبالغتهم في التكذيب[٣].

واتَّهَمَ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

---

(١) تفسير المراغي (٢٧/٩٠)، للإمام: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ).
(٢) سورة القمر الآية (٩).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٩/٢٩٤).



﴿لَمَجْنُونٌ﴾[١]، ونفى القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[٢]

وذكره بوصف الصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره، وأنه ليس مما يرمونه من الجنون وغيره في شيء، وأنهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم، بأنه أعقل الناس وأكملهم ... فالمقصود بالآية نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم بأكمل وجه، وتوبيخ أعدائه الذين اتهموه بتهمة هم أول من يعلم – عن طريق مشاهدتهم لاستقامة تفكيره، وسمو أخلاقه – أنه أكمل الناس عقلاً وأقومهم سلوكًا[٣].

وهذه هي عادة الأمم مع أنبيائها ورسلها أنهم إذا أعيتهم الحجة، وعجزوا عن المعارضة بالأدلة والمقاومة بالبرهان؛ عدلوا إلى تلفيق التهم.

يقول الإمام المراغي:" وقد جرت عادة الكفار أن يرموا رسلهم بالجنون؛ لأنهم ادعوا أن الله خصهم برسالته ووحيه، على كونهم بشرًا كغيرهم لا يمتازون من سائر الناس بزعمهم؛ ولأنهم ادعوا مالم يعهد له نظير عندهم[٤].

---

(١) سورة القلم الآية (٥١).

(٢) سورة التكوير الآية (٢٢).

(٣) التفسير الوسيط (٣٠٣/١٥)، للدكتور: محمد سيد طنطاوي.

(٤) تفسير المراغي (١٢٤/٩).



المطلب الثالث:
قلب الحقائق وطمسها:

والباعث على هذه الرزيلة هو الجحود العقلي، والانطماس النفسي الذي يحمل أصحابه على قلب الحقائق، وإيثار طريق الضلالة على طريق الهداية(١).

وقلب الحقائق وتغيير الوقائع سمة الجبناء الضعفاء، أما الأقوياء وهم المؤمنون الذين استخدموا وسائط المعرفة السليمة، للوصول إلى الحقائق فهم الخالدون الباقون، وهم الذين يحبون الإنسانية بحق وصدق، فيدعونهم إلى إصلاح السلوك، وتقويم الأخلاق، والثبات على المبدأ الحق الذي يرشد إليه العقل، وتقتضيه الفطرة، وتؤيده البراهين الحسية والتاريخية(٢).

ومن مظاهر قلب الحقائق وتزييفها؛ ما صدر من قوم لوط عليه السلام في حق نبيهم من اتهامه عليه السلام بمحبته لفاحشة اللواط مع تظاهره بمعاداتها، وادعائه الطهر وهو أبعد الناس عنه، فهو – في زعمهم – كالمنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن، وكأنه ينفرهم من أمر تتوق نفسه إليه، وهذا خلاف الحقيقة.

وقد حكى القرآن الكريم عنهم هذا الخداع، والتزييف في قول الله تعالى"

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(٣)

---

(١) مفاتيح الغيب (٣١٦/١٤).

(٢) التفسير المنير (٨٥/١)، المؤلف: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي.

(٣) سورة الأعراف الآية (٨٢).



قال الإمام البقاعي:" ثم عللوا إخراجهم بقولهم: ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ ﴾ أي: ضعفاء ﴿يَتَطَهَّرُونَ ﴾ وكأنهم قصدوا بالتفعل نسبتهم إلى محبة هذا الفعل القبيح، وأن تركهم له إنما هو تصنع وتكليف لنفوسهم؛ بردها عما هي مائلة إليه، وإقبال على الطهر من غير وجْهة وإظهار له رياءً بما أشار إليه إظهار تاء التفعيل"[١].

ويصرح الإمام ابن عاشور أن الذين رموه بالسوء وروجوا للإفك حوله عمدوا إلى قلب الحقائق وتزييفها؛ من أجل تبرير ممارساتهم الشاذة، ودعم سلوكياتهم المنحرفة، فيقول رحمه الله:" والتطهر تكلف الطهارة، وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة مجازًا على تزكية النفس، والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفة كمال، لكن القوم لما تمردوًا على الفسوق كانوا يعدون الكمال منافرًا لطباعهم، فلا يطيقون معاشرة أهل الكمال، ويذمون ما لهم من الكمالات فيسمونها ثقلاً، ولذا وصفوا تنزه لوط عليه السلام وآله تطهرًا، بصيغة التكلف والتصنع، ويجوز أن يكون حكاية لما في كلامهم من التهكم بلوط عليه السلام وآله، وهذا من قلب الحقائق؛ لأجل مشايعة العوائد الذميمة، وأهل المجون والانخلاع، يسمون المتعفف عن سيرتهم بالتائب أو نحو ذلك، فقولهم: إنهم أناس يتطهرون ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ قصدوا به ذمهم"[٢].

وقد بين القرآن الكريم أن محاولات قلب الحقائق وتحريفها، ليس مجرد تزييف للواقع وإنما هو تهديد للاستقامة الدينية، وهدم لبناء القيم الأخلاقية، وطريق

---

(١) نظم الدرر (٤٥٦/٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣٥/٨).

لتفشي الضلال والإفساد، حيث يقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾(١)

يقول الإمام السعدي:" ﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ أي: نحن والمؤمنون ﴿ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ أي: في الدنيا، من كثرة الأموال والأولاد، وتوفر الشهوات ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ أي مجلسًا. أي: فاستنتجوا من هذه المقدمة الفاسدة، أنهم أكثر مالا وأولادًا، وقد حصلت لهم أكثر مطالبهم من الدنيا، ومجالسهم وأنديتهم مزخرفة مزوقة، والمؤمنون بخلاف هذه الحال، فهم خير من المؤمنين، وهذا دليل في غاية الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثرة الأموال والأولاد، وحسن المنظر، كثيرًا ما يكون سببًا لهلاك صاحبه وشقائه وشره"(٢).

ولا يجد هذا الانحراف – أعني قلب الحقائق – طريقه إلا بين أصحاب العقول الضعيفة الواهية، التي غاب عنها نور العلم والحكمة؛ وتفتقر إلى الوعي والبصيرة فتقع أسيرة للأوهام والمغالطات.

يقول الإمام السعدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٣):" أي: وإذا تتلى على المكذبين ﴿ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ بحيث تكون على وجه لا يمترى بها، ولا يشك في وقوعها وحقها لم تفدهم خيرًا، بل قامت عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم

---

(١) سورة مريم الآية (٧٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٤٩/١)، للإمام: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ).

(٣) سورة الأحقاف الآية (٧).



وافترائهم: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر لا شك فيه، وهذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول، وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين السحر من المنافاة والمخالفة؛ أعظم مما بين السماء والأرض، وكيف يقاس الحق – الذي علا وارتفع ارتفاعًا على الأفلاك، وفاق بضوئه ونوره نور الشمس، وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه، وأقرت به وأذعنت أولو البصائر والعقول الرزينة– بالباطل الذي هو السحر الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟! فهو مناسب له وموافق لحاله وهل هذا إلا من البهرجة؟"[١].

المطلب الرابع:
رفض الإنصات للرأي المخالف:

أهل الباطل لا يواجهون الحجة بالحجة، بل يسعون دائمًا إلى إسكات صوت الحق بكل ما لديهم من وسائل، سواء بالتخويف والتسويل، أو الترهيب والترغيب؛ لأنهم يدركون ضعف حججهم أما حجة خصومهم، فإذا فشلت محاولاتهم في هزيمة الحق عدلوا إلى إثارة الفوضى بالكلام الباطل، والتضليل؛ للتشويش على العقول وطمس معالم الحقيقة.

يقول الإمام بن عاشور:" من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكمموا أفواه الناطقين بالحق والحجة، بما يستطيعون من تخويف وتسويل، وترهيب وترغيب ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها، ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيل، ورأوا بوارق الحق تخفق خشوا أن يعم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٧٧٩).



نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد؛ عدلوا إلى لغو الكلام ونفخوا في أبواق اللغو، والجعجعة، لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون الكلامَ القولَ الصالحَ باللغو"(١).

ومن مظاهر هذا اللون من الانحراف" إحداث الضجيج، أو إكثار الكلام، أو الصياح، أو التشويش ليختلط عليه.

وقد كان هذا اللون من الانحراف حاضرًا في نفوس مشركي قريش عند دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾(٢)

يقول الإمام الرازي:" واعلم أن القوم علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى، وفي اللفظ، وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه، وأحاط عقله بمعانيه، وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول، فدبروا تدبيرًا في منع الناس عن استماعه، فقال بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن إذا قرئ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة، والكلمات الباطلة، حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته"(٣).

ويقول الإمام ابن عاشور:"علموا أن القرآن كلام هو أكمل الكلام شريف معان وبلاغة تراكيب، وفصاحة ألفاظ، وأيقنوا أن كل من يسمعه وتداخل نفسه جزالة ألفاظه وسمو أغراضه قضى له فهمه أنه حق اتباعه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم ولكنهم غالبتهم محبة الدوام على سيادة قومهم؛ فتمالؤوا ودبروا تدبيرًا

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧٧/٢٤).
(٢) سورة فصلت الآية (٢٦).
(٣) مفاتيح الغيب (٥٨٨/٢٧).



لمنع الناس من استماعه، وذلك خشية من أن ترق قلوبهم عند سماع القرآن فصرفوهم عن سماعه"(١).

وقد جسدت لنا قصة نوح عليه السلام صورة جلية من هذا العناد البشري تجاه الحق، ورفض الانصات له، والاستماع إليه بعقلانية وحكمة، وسد منافذ الإدارك الذي تتفتح به أبواب الهداية والنور، كما حكي القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾(٢).

فالآية الكريمة تصور مدى النفور والغطرسة النفسية عن سماع الحق وقبوله، كما يذكر الإمام الزحيلي بقوله:" وهذا دليل على وجود الحجاب الكثيف والغطرسة النفسية عن سماع دعوة الحق، وتلك مبالغة تتفق مع أوضاعهم، فإنهم إذا جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم مع ذلك، صار المانع من السماع أقوى"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧٧/٢٤).

(٢) سورة نوح الآيات (٥:٧).

(٣) التفسير المنير (١٤٥/٢٩).



المطلب الخامس:
التكاتف لأجل تلاقي المصالح الفاسدة.

فالمصالح والمنافع تقتضي وجوب الترابط بين الناس لتحقيقها، فالفرد قد لا تحقق مصالحه إلا بالتلاقي مع الآخر والعمل معه، وإن تباينت عقائدهم وتغايرت أفكارهم، فالمصلحة المشتركة قادرة على تجميع وتحريك الفئات المتباينة في اتجاه واحد.

وقد كشف القرآن الكريم لنا عن تحالفات قامت لا على أساس المبادئ الرفيعة، أو العقيدة الراسخة، بل على أساس المصالح المشتركة التي تجمع أصحاب الهوى، وكان أبرز هذه النماذج التي تكاتفت وتحالفت لا لنصرة الحق، وإنما للحفاظ على النفوذ والسلطة والمال ما قصه القرآن علينا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾(١)

فهامان وقارون من أتباع فرعون المقربين، وكان فرعون يقدم هامان لدهائه فهو عونه على الظلم والطغيان، ويقدم قارون عنده لماله العظيم فهو صاحب الأموال الوفيرة ومفاتيح الكنوز الثقيلة، وانحياز هامان وقارون لفرعون لم يكن بدافع الإيمان، أو الانتصار للحمية أو العصبية، وإنما كان بدافع الحفاظ على أموالهم الطائلة، والامتيازات التي ينعمون بها، من النفوذ والجاه والسلطان، فقارون وفرعون وهامان حين اتفقت مصالحهم الفاسدة اتحدت كلمتهم الباطلة، فقالوا: ساحر كذاب.

وفي سر تخصيصهم بالذكر يقول الإمام القرطبي:" خصهم بالذكر؛ لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم، ففرعون الملك، وهامان الوزير،

---

(١) سورة غافر الآيات (٢٣:٢٤).



وقارون صاحب الأموال والكنوز، فجمعه الله معهما؛ لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما"(١).

ويقول الشيخ عبد الكريم الخطيب:" والقرآن الكريم يجمع كثيرًا في قصصه، بين المشركين من قريش، وبين فرعون؛ لما بينهم وبينه من مشابة كثيرة، من كبر، وأنفة، وجاهلية مغرورة حمقاء"(٢).

وفي موضع آخر يقول الله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾(٣)

ففرعون الملك، وهامان الوزير، وقارون صاحب الأموال العظيمة هم الزعماء البارزون، الذين كانوا يدبرون المكايد ضد موسى عليه السلام؛ فيتبعهم العامة من أقوامهم.

يقول الإمام الزحيلي:" وخص هؤلاء الطغاة بالذكر؛ لأنهم رؤساء القوم، وغيرهم تابع لهم، وشأن المتسلطين المستكبرين ألا يذعنوا لكلمة الحق والهداية، حفاظا على مراكزهم وقواهم ومكانتهم بين الأتباع"(٤).

فمآزرة هامان وقارون لفرعون لم تكن بدافع الحمية، أو الدفاع عن العقيدة، وإنما كانت لأجل الحفاظ على مراكزهم المالية، ووجاهتهم الاجتماعية، ومكانتهم المهيبة بين أتباعهم، فهو تعاون مبني على المنفعة المتبادلة، وليس على المبادئ والقيم المشتركة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤/١٥).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٢٢٠/١٢)، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ).

(٣) سورة العنكبوت الآية (٣٩).

(٤) التفسير الوسيط للزحيلي (٢٢٦٩/٣)، المؤلف: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي.



المطلب السادس:
ازدراء الخصم والتهاون في تقديره.

إن قضية ازدراء الخصم والتقليل من شأنه سلاح شهرته الأمم في وجه أنبيائها، وهو موقف من مواقف التصدي، والتحدي، والمعارضة لدعوة الأنبياء والمرسلين، وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف في كثير من آياته، حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾[١]

إن هذه الآيات تكشف لنا عن مشهد من مشاهد الصراع بين الحق والباطل، وكيف وُصِفَ أهل الحق بأنهم قلة قليلة، وفئة ضالة انحرفت عن المسار الصحيح، وخرجت عن إرادة العامة، ومن الواجب على الجميع أن يكون على قدر كبير من الحذر والوعي؛ للحفاظ على الاستقرار ولتفادي مثل هذا الانحراف.

يقول د/ سيد طنطاوي:" وبعد أن اكتمل عددهم، أَخَذَ في التهوين من شأن موسى ومن معه فقال: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾، والشرذمة: الطائفة القليلة من الناس، وخصها بعضهم بالأخساء والسفلة منهم، ومنه قولهم: هذا ثوب شرذام، وثياب شراذم، أي: رديئة متقطعة، أي: إن هؤلاء الذين خرجوا بدون إذني وإذنكم، لطائفة قليلة من الناس الذين هم بمنزلة العبيد والخدم لي ولكم""[٢].

---

(١) سورة الشعراء الآيات (٥٣:٥٦).

(٢) التفسير الوسيط (٢٤٩/١٠).



ومن هذه الآيات التي تشير إلى هذا المسلك في الانحراف قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾[١].

يقول الإمام الزحيلي:" وهذا من سخافة عقولهم، وقصور نظرهم على المادة وحطام الدنيا، وإشارة إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة، وإنما هو لتوقع مال ورفعة، لذلك قال: وما علمي بما كانوا يعملون، أي: لا علم لي بأنهم عملوه إخلاصًا، أو طمعًا في شيء، وما على إلا اعتبار الظاهر[٢].

ويقول الإمام صديق خان:" ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس، وأوضعهم نسباً، وما زالت اتباع الأنبياء كذلك، وإنما بادروا للاتباع قبل الأغنياء لاستيلاء الرياسة على الأغنياء، وصعوبة الانفكاك منها، والأنفة عن الانقياد للغير. والفقير خلى من تلك الموانع، فهو سريع الإجابة والانقياد، وهذا غالب أحوال أهل الدنيا، وهذا من سخافة عقولهم، وقصر رأيهم على حطام الدنيا، حتى جعلوا اتباع المقلّين من الدنيا مانعاً من اتباعهم، وجعلوا إيمانهم بما يدعوهم إليه دليلاً على بطلانه"[٣].

إن الاستهانة بالخصم، وازدراء أمره، والسخرية منه؛ هو ارتداء لرداء إبليس الذي تسلل العجب إلى نفسه؛ فنظر إلى آدم عليه السلام نظرة الحقارة، ووجد في نفسه أنه خير منه.

---

(١) سورة الشعراء الآيات (١١١:١١٦).

(٢) التفسير المنير (١٨٣/١٩).

(٣) فتح البيان (٣٩٩/٩).



يقول الإمام الهرري في تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(١)]

:"لا عبرة بظاهر الخلق، فلا تنظر إلى أحد بنظر الازدراء، والاستهانة، والاستخفاف، والاستحقار؛ لأنّ في استحقار أخيك عجب نفسك مودع، كما نظر إبليس بنظر الحقارة إلى آدم عليه السلام، فأعجبته نفسه، فقال: أنا خير منه، خلقتني من نار، وخلقته من طين، فَلُعِن إلى الأبد لهذا المعنى"[(٢)].

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن احتقار الناس، والسخرية منهم فيقول عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[(٣)].

---

(١) سورة الحجرات الآية (١١).

(٢) حدائق الروح والريحان (٣٦٥/٢٧)، للإمام: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب:(البر والصلة والآداب)، باب:(تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله)، حديث رقم (٢٥٦٤)،(١٩٦٨/٤).



المبحث الثاني:
الأسباب المؤدية إلى انصياع العقل الفردي لتأثير العقل الجمعي.
وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول:
الرقود الفكري والعزوف عن استكشاف الأدلة والبراهين.

الرقود الفكري هو حالة من تجنب التفكير العميق، الذي يجعل الفرد يفر من بذل الجهد في الفكر، ويريح نفسه من عناء التفكير والنظر، ويكتفي بالانصياع لتوجيهات المجموع، فإن فعل ذلك؛ فقد تخلى عن أعظم خصائصه، التي ميزه الله تعالى بها وهو العقل، أداة التمييز بين الحسن والقبيح والصواب والخطأ.

لقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الكسل، فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر[1].

ولا يمكن بحال من الأحوال أن نختزل ما استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كسل البدن، فإن ذلك من أهون أنواعه؛ بل إن كسل الفكر أشد منه وأخطر.

وحين تنشط عقول الكسالى؛ يتغير المجتمع تطورًا وابتكارًا وابداعًا، ولذا أصبح واجب الوقت أن نحارب الركود الفكري؛ لتتمكن العقول من التفكير الناقد.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب:(الجهاد والسير)، باب:(ما يتعوذ من الجبن)، حديث رقم (٢٨٢٣)، (٢٣/٤).



والتفكير الناقد يعني قدرة الفرد على إبداء الرأي المؤيد، أو المعارض في المواقف المختلفة، لذا فهو تفكير تأملي، يهدف إلى إصدار حكم أو إبداء رأي، وذلك بإخضاع المعلومات والبيانات الواردة لاختبارات عقلية ومنطقية؛ وذلك لإقامة الأدلة أو الشواهد والتعرف على القرائن، ومن ثم قبولها أو لفظها. فالعقل هنا يمثل الحارث أو مكافح الفيروسات الذي يتحقق من هوية كل الداخلين إلى بنائه الفكري، حتى يظل البناء الفكري للإنسان آمنًا محميًا[1].

وحين يدعونا القرآن الكريم إلى التفكير، والتعقل في كثير من الآيات بصيغة المضارعة، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[4] وغير ذلك من آيات القرآن، فما ذلك إلا لأن يستمر التفكر، ويتجدد فينا حينًا بعد آخر، ويعطي في كل مرة عطاء جديدًا، يتوافق مع مستجدات الحياة وتطورها؛ لأن إيثار صيغة المضارعة تنبئ عن الحدوث والتجدد، وأن هذا ينبغي أن يتجدد وقتًا بعد آخر.

---

(١) ينظر: الأمن الفكري مستويات التفكير واتجاهات التطبيق (ص٤١)، د/ عبد الرحمن سليمان النملة.

(٢) سورة النحل الآية (١١).

(٣) سورة النحل الآية (٦٧).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٣٥).

يقول الإمام البقاعي في معرض تفسير قول الله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]:"أي: لهم هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار[2].

ولقد ذكر القرآن الكريم طرفًا من اعتراف أهل النار، وأنهم لو سمعوا سماع من يعي ويفكر، أو عقلوا عقل من يميز وينظر؛ ما كانوا من أهلها فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3]، وذلك لكون كلام الرسل جاريًا على سُنَّة الحجة، ومبنيًّا على البرهان.

قال الإمام الزحيلي:" أي إننا نلوم أنفسنا ونندم على ما فعلنا، فلو كنا نسمع ما أنزل الله من الحق سماع من يعي، وسماع هداية، أو نعقل عقل من يميز وينظر وينتفع، وعقل هداية، ما كنا من أهل النار، وما كنا عليه من الكفر بالله والضلال، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، والإيمان بما أنزل الله تعالى، والاستماع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وقدم السمع على العقل والتفهم؛ لأن المدعو إلى شيء يسمع كلام الداعية أولا ثم يتفكر فيه[4].

---

(١) سورة يونس الآية (٥).

(٢) نظم الدرر (٧٦/٩).

(٣) سورة الملك الآية (١٠).

(٤) التفسير المنير (١٧/٢٩).



المطلب الثاني:
الجهل و القصور العلمي والنقص المعرفي.

القصور العلمي له أثر بالغ في التراجع الفكري، وهو النتيجة الحتمية للبعد عن المنهج السماوي الذي أمرنا الله باتباعه.

يقول الإمام عبد الكريم الخطيب:" فهذا القصور العلمي الذي نحن فيه، وهذا التخلف الاجتماعى الذي يضع المجتمع الإسلامى في مؤخرة العالم الإنسانىّ؛ هو نتيجة لازمة لانفصالنا عن هذا الدستور السماوي، الذي أمرنا الله باتباعه، ووعدنا الحياة الطيبة الكريمة في ظله، ففي كتاب الله مفاتح العلم كلّها، بما يفتح من بصائر، وما يشرح من صدور، وما يعمر من قلوب، وما يشيع في النفوس من سلام، ورضا، وطمأنينة، وبهذا يقف الإنسان من هذا الكون وقفة خبير بصير، وينظر إليه نظرة متوسّم دارس، يربط المسببات بالأسباب، ويصل المعلولات بالعلل، فإذا هذا الوجود وحدة متماسكة متناغمة، يجتمع قريبها إلى بعيدها، ويلتقي علوها مع سفلها، بيد القُدْرَة القَدِرَة، وتدبير الحكمة العالية ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(١)! والنظر الذي يدعو إليه القرآن الكريم، ويوجهه إلى هذا الوجود، ليس نظرًا حالمًا مستسلمًا لتلك المشاعر الغافية، التي تهدهدها نغمات الجمال والانسجام التي تتجلى في صفحة الكون، فذلك نظر سلبي لا يغني من الحقّ شيئًا، إنه أشبه بأحلام اليقظة، وخيالات

---

(١) سورة الملك الآية (١:٤).



الشعراء، وإنما الذي يدعو إليه القرآن الكريم، هو النظر اليقظ الجادّ، الباحث عن الحقيقة، في أعماق الأشياء، وإن صحبه في ذلك ما يصحبه من مشاعر الجمال والجلال، فذلك هو الذي يشوقه إلى الحقيقة، ويغريه بالبحث عنها والتعامل معها، فيكون له من تلك المشاعر قوىً تعينه على البحث والدرس، وتخفف عنه معاناة التأمل والتخيل، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[1][2].

ويقول الشيخ محيي الدين درويش:" إن الجهلاء ينقادون للأمر والسطوة، ولا ينقادون للحجة والدليل، ويريدون من صاحب الدعوة – كما جاء في قصة نوح – أن يكون ملكًا، أو تكون عنده خزائن الله ويقولون له: ﴿ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[3][4].

ويقول الإمام الزحيلي:" التشريع الإلهي يحمي المصالح الاجتماعية العامة البعيدة الأمد، التي لا يتنبه لها الناس أحيانًا، بسبب قصور العقل البشري، وعدم قدرته على الاستيعاب، والاطلاع على المستقبل[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩١).

(٢) التفسير القرآني (٣٧٤/٧).

(٣) سورة هود الآية (٣٢).

(٤) إعراب القرآن وبيانه (٧٩/٥)، للإمام: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ).

(٥) التفسير المنير (٣٥٦/٢).



المطلب الثالث:
طرح النظر في عواقب الأمور ومآلاتها.

النظر في العواقب ومآلات الأمور أصل عظيم من أصول الشريعة، ومن جيد ما قيل في النظر في العواقب قول أبي حازم: النظر في العواقب تلقيح العقول[١].

أي: النظر في نتائج الأفعال والأقوال قبل الإقدام عليها يؤدي إلى نضج العقل، إذ الإعراض عن النظر في الأمور، وترك التفكر في العواقب وتدبرها؛ هو غاية الغفلة ومنتهاها.

يقول الإمام الواحدي: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٢]، معنى التدبير والتدبر في اللغة النظر في العواقب"[٣].

وكثيرًا ما وجه القرآن الكريم الخطاب في مهمات القضايا إلى أولي الألباب دون غيرهم؛ لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب، ويتحامون ما فيه الضرر الآجل كما هو الشأن في قضية القصاص، حيث يقول الله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤]

يقول الإمام القونجي:" ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، أي: ذوي العقول الكاملة، جعل هذا الخطاب موجهاً إلى أولي الألباب، وناداهم للتأمل في حكمة

---

(١) جمهرة الأمثال (٨٢٨/٢)، للإمام: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ).

(٢) سورة النساء الآية (٨٢).

(٣) التفسير البسيط (٦٢٩/٦)، للإمام: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ).

(٤) سورة البقرة الآية (١٧٩).



القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس؛ لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب، ويتحامون ما فيه الضرر الآجل، وأما من كان مصاباً بالحمق، والطيش، والخفة؛ فإنه لا ينظر عند سورة غضبه وغليان مراجل طيشه إلى عاقبة، ولا يفكر في أمر مستقبل"(١).

وفي سر تخصيص أولي الألباب بالخطاب يقول الإمام أبو حيان:" وذوو الألباب هم الذين يعرفون العواقب، ويعلمون جهات الخوف، إذ من لا عقل له لا يحصل له الخوف، فلهذا خص به ذوي الألباب"(٢).

يقول الإمام السعدي:" ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته؛ لأن لهم عقولاً ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه"(٣).

وحين يمعن الإنسان النظر في عواقب الأمور؛ لا يقع تحت سلطان القهر، أو الإلزام بل يختار من الطرق ما يناسبه، وهذا ما جعل سحرة فرعون لا يهتمون بوعيده ولا تهديده، بل أذعنوا للحق بقولهم الذي حكاه القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾(٤)، فأمنوا إيمانًا عميقا بُنِي على فهم دقيق؛ لأنهم أيقنوا أن ما عند الله خير ثوابًا وأبقى عقابًا.

---

(١) فتح البيان (٣٥٧/١).

(٢) البحر المحيط (١٥٥/٢).

(٣) تفسير السعدي (٧٢٠/١).

(٤) سورة طه الآية (٧٣).



يقول الإمام ابن عاشور:" أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه، إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين، وكذلك شأن المؤمنين بالرسل، إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة، فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته"(١).

وقد جعل الله تعالى النظر في العواقب من خصائص الإنسان، ولم يجعل الله تعالى هذه الخاصية له إلا لأمر جعله له في العقبى، وإلا كان وجود هذه القوة فيه باطلا"(٢).

فعلى العاقل أَن ينظر في العواقب، فلا يجعل نفسه تابعًا لذى رأْى فاسد، ومذهب ملحد لينجو من سوء المصير"(٣).

ويتحقق النظر في العواقب كما قال ذو النون المصري: اليقين داع الى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو الى الزهد، والزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث النظر في العواقب"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦٦/١٦).

(٢) التفسير القرآني (٩٤٩/٦) بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط (١١٧٦/٦)، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(٤) روح البيان (٤٢/١)، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ).



المطلب الرابع:
تغليب هوى الإنسان على رشده
وتوافق الآراء التي يتبناها مع ميوله وغرائزه.

والهوى ميلان النفس إلى ما يُستلذ به من الشهوات، فقد يقع الإنسان به في جملة من الكبائر، مثل: البدعة، والضلالة، والارتداد، والشبهة، وطلب الشهوات، واللذات والتنعمات، وحظوظ النفس بترك الصلاة والطاعات كلها، وعقوق الوالدين، وقطع الرحم، وقذف المحصنات[١].

والهوى أريحية في النفس تدعو إلى ما لا يجوز، وذلك لأن اتباع الهوى مذموم، وليس يجوز لأحد أن يعمل شيئا لداعي الهوى[٢].

ولم يأت الهوى في القرآن الكريم إلا في موضع الذم؛ لأنه مهلك لصاحبه، كما في قول الله تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[٣].

ولعظم شأنه وخطر أمره حذر الله تعالى منه الأنبياء، وأوعدهم عليه بالضلال، كما في قوله تعالى:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٤]

يقول الإمام القرطبي:" فاتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور في الحكم، إلى غير ذلك. وقال الشعبي: أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته

---

(١) روح البيان (٢/١٩٧).

(٢) تفسير ابن فورك (٣/١٤٤)، للإمام: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبي بكر (ت: ٤٠٦هـ).

(٣) سورة طه الآية (١٦).

(٤) سورة ص الآية (٢٦).



ثمنا قليلا"[١].

وأخبر القرآن الكريم أن اتباع الهوى ينتهي إلى فساد عظيم، حيث تتشوه فيه معايير الحق والصواب، ويصبح الإنسان أسير شهواته ورغباته، ويجعله بعيدًا عن المنهج القويم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[٢]

يقول الإمام الرازي:" بين سبحانه أن الحق لا يتبع الهوى، بل الواجب على المكلف أن يطرح الهوى ويتبع الحق، فبين سبحانه أن اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد العظيم"[٣].

ويقول الإمام المراغي:" أي: ولو سلك القرآن طريقهم بأن جاء مؤيدًا للشرك بالله، واتخاذ الولد – تعالى الله عن ذلك – وزيّن الآثام واجتراح السيئات؛ لاختل نظام العالم كما جاء في قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٤] ولو أباح الظلم، وترك العدل لوقع الناس في هرج ومرج، ولوقع أمر الجماعات في اضطراب وفساد، والمشاهد في الأمم التي يفشو فيها التخاذل، والذلة، والمسكنة يئول أمرها إلى الزوال، ولو أباح العدوان واغتصاب الأموال، وأن يكون الضعيف فريسة للقوى؛ لما استتبّ أمن ولا ساد نظام، وحال العرب قبل الإسلام شاهد صدق على ذلك"[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤١٣/٥).
(٢) سورة المؤمنون الآية (٧١).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٨٧/٢٣).
(٤) سورة الأنبياء الآية (٢٢).
(٥) تفسير المراغي (٤١/١٨).



ولأجل أن يسلم الإنسان من هوى نفسه، ينبغي أن يكون تابعًا للشرع وقضية العقل فإن الهوى يعمى البصائر، ومن صار غالبًا على هواه؛ فقد وفق للحق وهدي إلى الطريق المستقيم.

ولقد جاء النهي عن اتباع الهوي بينًا صريحًا؛ لأنه مرد مهلك وهو مزلة الأقدام حيث يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾[1]

يقول الإمام السعدي في تفسيرها:" أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه، حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقًا، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه؛ وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم"[2].

ولقد أمر الله رسوله أن لا يسلك طريقة المشركين، إذ هي مبنية على اتباعهم للهوى لا على الحق والصواب فيقول تعالى: ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾[3].

يقول الإمام الهرري:" لا أجري على طريقتكم التي سلكتموها في دينكم، من اتباع الهوى في عبادة الأحجار التي تنحتونها بأيديكم، ولا أوافقكم على ما تدعونني إليه لا في هذه العبادة، ولا في غيرها من الأعمال؛ لأنها مؤسسة على الهوى وليست على شيء من الحق والهدى"[4].

ومن نماذج القدوة التي عرضها القرآن الكريم في تجرد النفس عن هواها، وإذعانها للحق عند وضوحه وثبوته؛ ما وقع من السحرة حين قالوا لفرعون كما

(١) سورة النساء الآية (١٣٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/٢٠٨).

(٣) سورة الأنعام الآية (٥٦).

(٤) تفسير حدائق الروح (٨/٣٥٤).



حكى القرآن الكريم عنهم:" ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[١]

يقول الإمام الزحيلي:" وإيمان السحرة وإعلان إسلامهم بجرأة وصراحة وسرعة؛ يدل على أن الإنسان إذا تجرد عن هواه، وأذعن للعقل والفكر السليم؛ بادر إلى الإيمان عند ظهور الأدلة عليه"[٢].

المطلب الخامس:
التقليد الأعمى والجمود على العادات الموروثة .

طبيعة الإنسان تقتضي أن يتفاعل مع ما حوله من الأحداث، والأشخاص، والأفكار فيتأثر بها ويؤثر فيها، والاقتداء بالأشخاص أو تقليد الأفكار المبني على التأمل والتفكر؛ كتقليد الصالحين من أهل الذوق في سمتهم، وعملهم، ومحاكاتهم مع وجود شخصية المقلد؛ هذا أمر محمود لا حرج فيه.

أما التقليد الأعمى فهو الاعتصام بالتقاليد البالية، والاستتار وراء تقديس ما كان عليه الآباء والأجداد، فيتبع المرء فيه غيره بلا دليل، ولا نظر، ولا تأمل، فتلغى معه شخصية المقلد وعقله.

" إن الجمود على التقاليد الموروثة أكبر آفات العقل البشري؛ لأنها تعطل تفكيره وتتركه في حكم الآلة التي تسير على نهج واحد في آثار الآباء والأجداد، مع اختلاف الزمن وتبدل الأحوال"[٣].

---

(١) سورة طه الآيات (٧٢:٧٣).

(٢) التفسير الوسيط (٧٠٨/١).

(٣) إعراب القرآن وبيانه (٧٩/٥).



بل إن الاكتفاء بالتقليد دون إعمال العقل والنظر في حقيقة الأمور، والاجتهاد – لمن قدر عليه – أمر مرفوض في ميزان الحق، والعدالة، والمسؤولية أمام الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهو اعتداء صارخ على حرمة العقل ومكانته؛ لذا ندد القرآن الكريم في كثير من آياته بمن يقلد غيره دون تبصر أو تفكر فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١]، فهي دعوة صريحة إلى التحرر في الفكر ونبذ التقليد، واعتناق الحق.

والباعث على التقليد الأعمى إنما هو التعصب للمتبوع أحيانًا، أو التسليم بمنهجه وطريقته، أو الاغترار والانبهار به؛ كما هو الشأن فيمن يرحلون من بلدانهم فينبهرون بكل ما هو جديد، ويسعون إلى إقتفاء أثره رغم ما أحرزه العقل البشري من تقدم وما وصل إليه من النضج.

وفي ذلك يقول الإمام الزحيلي:" وأما الناس اليوم وربما في المستقبل، على الرغم من تقدم العقل البشري ونضجه، واكتشاف آفاق العلوم والمعارف الكونية، فإنهم فيما يتعلّق بالدين ما يزالون متأثّرين بالتقاليد الموروثة، وبالبيئات المعايشة، وبما يوجّههم إليه رجال الدين وسدنة الإرث القديم، ولكن التّمسك بالتقليد وإهمال دور العقل؛ مرفوض في ميزان الحق، والمسؤولية، والحساب الإلهي في الدنيا والآخرة"[٢].

وقد يكون الداعي إلى تبني التقليد هو الميل إلى التمتع المفرط بنعم الدنيا وطيباتها وتفضيل الكسل، والتراخي، والنفور من تحمل مشقة التفكير والاستقلال الفكري.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٢) التفسير الوسيط (١٢١٢/٢).



يقول الإمام الرازي:" الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه، إنما هو حب التنعم في طيبات الدنيا، وحب الكسل والبطالة، وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[1]، والمترفون هم الذين أترفتهم النعمة، أي: أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق"[2].

ولا أدل على خطر التقليد في طمس البصائر، والضلال عن الحق مما وقع فيه المشركون من تكذيبهم للقرآن، كما حكى القرآن ذلك عنهم بقوله تعالى:﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[3].

أي:" هؤلاء الناس قد أعماهم التقليد، وأضلهم الجهل المطبق، فلم ينظروا بالعقل المجرد عن الهوى إلى الدلائل الشاهدة على صدق محمد، وأن القرآن من عند الله، فهم في شك وليس عندهم دليل، ولذلك تارة يقولون: إنه سحر، ومرة: إنه شعر، وثالثة: إنه كهانة"[4].

---

(١) سورة الزخرف الآية (٢٣).

(٢) مفاتيح الغيب (٦٢٨/٢٧).

(٣) سورة ص الآية (٧).

(٤) التفسير الواضح (٢٣٣/٣)، المؤلف: د/ محمد محمود حجازي.



المبحث الثالث:
منهج القرآن في إصلاح انحرافات العقل الجمعي وتصحيح مساراته.

لقد وضع القرآن الكريم منهاجًا متكاملاً لحماية العقل الجمعي من الانحراف، وجعل الفرد أساسًا ومرتكزًا لهذا المنهج باعتباره الوحدة الأساسية المكونة للمجتمع، واللبنة الأولى في بنائه؛ فحرص على حسن إعداده وتأهيله لحمل مسؤوليته تجاه مجتمعه، ودعاه إلى إعمال عقله، وإتاحة الفرصة لإبداء رأيه، والتعبير عن فكره في حرية ووضوح، وعدم ركونه إلى الصمت خوفًا من الإقصاء أو إلحاق الضرر، وعمل على غرس القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية فيه؛ ليكون تفكيره في القضايا التي تتعلق بالمجتمع منطلقة من هذه القيم وتلك المبادئ، كما دعى المجتمع إلى الانفتاح على الأراء المتباينة وتقبلها وعدم مصادرتها؛ الأمر الذي يؤدي إلى بناء المجتمع واستقراره وتماسكه، مما يعكس شمولية المنهج القرآني في تقويم انحرفات العقل الجمعي واستنهاض الوعي وتقويته.

ويتجلى لنا منهج القرآن في ذلك من خلال عدة مطالب:

المطلب الأول:
الارتقاء بالجانب الروحي للإنسان كمنطلق لتقويم العقل الجمعي.

الإنسان مكون من روح وجسد، طرفين مرتبط أحدهما بالآخر لا يمكن الانفكاك بينهما، والعناية بأحد الطرفين لا تغني عن العناية بالآخر، إذ لا تحصل الإنسانية الكاملة إلا بكمالهما معًا، فالكمال البشري يقتضي الجمع بين طهارة الأرواح وتزكيتها، وطهارة الأجساد وصحتها.

وإذا كان الشرع الحنيف اهتم بالجسد تنمية ورعاية؛ فهو كذلك اهتم بالروح تربية وتهذيبًا، ووضع من التشريعات ما يكفل صلاح الروح والجسد معًا.



يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب:" ولا تحسبنَّ الإسلام يجعل الخير والشر محصورين في دائرة الإنسان الذاتية، وفي الجانب الحسّي من هذه الدائرة، أي: جانب اللذة والألم، وكلّا؛ فهذا جانب وإن لم ينكره الإسلام في تقويم الخير والشر؛ لأنه قائم في الحياة لا يستطيع الناس الانفصال عنه، إلا أن الإسلام- فوق هذا- يعلو بهذا الإحساس، فيرتفع عن الجانب المادّي إلى الجانب الروحي، ومن جانب الذاتية الفردية في الإنسان، إلى جانب المجتمع الإنساني من أضيق حدوده إلى آخرها، امتدادًا واتساعًا، ومن أجل هذا كانت دعوة الإسلام إلى التخفيف من متاع الدنيا، كما كانت دعوته إلى البذل، والإيثار، والتضحية، ثم كان وعده بالثواب والعقاب، والجنة والنار في الآخرة [١].

لقد كان شأن القرآن دائمًا أن يعتني بالجوهر أشد من عنايته بالصورة والمظهر، لذا كان الهدف الأول الذي اتجه إليه هو الارتقاء بالجانب الروحي في الإنسان.

ومن مظاهر هذا الارتقاء أن كشف للإنسان عن الغاية الحقيقة من إيجاده وخلقه، وهي عبادة الله عز وجل، حيث يقول الله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، مما يرسخ في النفس عقيدة الإيمان بوجود الله ووحدانيته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والتقرب إليه والتعرف عليه بآلائه، والطمع في رحمته والخوف من عقابه.

---

(١) التفسير القرآني (٨٩٤/٩).

(٢) سورة الذاريات الآية (٥٦).

ومن مظاهر هذا الارتقاء أنه ربط النفس بالحياة الآخرة، التي هي الحقيقة الكبرى، التي فيها مقومات الحياة من البقاء والسرور، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[1] بخلاف الحياة الدنيا التي هي كالسراب الذي يحسبه الظمأن ماء؛ ليحرر الإنسان من غرائزه المتأصلة فيه، من حب الدنيا والخلود فيها، وليذكره أن مصيره في الآخرة مرتبط بمصيره في الدنيا؛ فلا يحصد الإنسان في الآخرة إلا ما بذر فيزداد الإنسان إيجابية، ويقدم على الخير إقدامًا، فيلزم من ذلك إستقامة البناء للأمة على أحسن ما تكون.

ومن مظاهر هذا الارتقاء أنه شرع للإنسان جملة من العبادات، التي هي الطريق إلى تهذيب الروح وإصلاح النفس وتزكيتها، والانطلاق بها إلى عالم النور.

فالصلاة تطهر الروح، وتزكي النفس؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربي في المسلم ملكة مراقبة الله تعالى وخشيته، والزكاة التي تدفع الإنسان إلى البذل، والتصدق وتخلصه من درن الشح والبخل، وهكذا سائر العبادات.

يقول الشيخ سعيد حوى:" فالعبادة تنمي شعور المراقبة لله تعالى، وهي وسيلة شكر واعتراف بعميم فضله تعالى، كما أن العبادة تجعل من المسلم شخصية إنسانية متكاملة متوازنة؛ عندما تحقق فيه الكمال البشري، وتطهر ذاته، وتنمي روح الإرادة فيه، وتجعله يشعر بالعزة والاستعلاء والتميّز، وتحمي الفرد والمجتمع من القلق والشقاء والأمراض النفسية، وكيف يقلق من كان دائم الصلة بربه يلتجئ إليه، يستمد العون منه يخضع له لا لغيره؟!"[2].

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٤).

(٢) الأساس في السنة وفقهها (١٦/١)، تأليف: سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩ هـ).



وحين يرتقى الإسلام بالجانب الروحي في الإنسان يلتزم منهجًا وسطًا، لا إفراط ولا تفريط، فلا مغالاة في الجانب الروحي، ولا إغراق في الجانب المادي.

" إن الارتقاء بالجانب الروحي يعني بتطبيق القيم الإسلامية الرفيعة، مثل: المودة والتعاطف، والتآخي، والتكافل، والإيثار، وإنكار الذات، ويشكل الجانب الروحي رباطًا قويًّا يجمع المسلمين على الحب والإخلاص، وأن فهم وتطبيق هذا الجانب صمام أمن للفرد والمجتمع، كما أن التركيز على جانب الروح؛ يولد في المسلمين ولاء وإخلاصًا لعقيدة التوحيد، ويحميهم من الوهن والتفكك، وينأى بهم عن مهاوي التعصب المقيت"(١).

المطلب الثاني:
ترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية أو الشخصية في مواجهة الانحرافات الجماعية.

والمسؤولية الفردية تعني انحصار مسؤولية كل إنسان بنفسه، وعدم سؤاله عن ذنب غيره(٢).

" وتنقسم من حيث وجوبها في ذمة الفرد، أو وجوبها في ذمة المجتمع إلى قسمين: فردية وجماعية، فالمسؤولية الفردية: هي التي تجب في ذمة الفرد المعين، بحيث لا تسقط عن ذمته، إلا أن يقوم ذلك الفرد المعين بأدائها.

والمسؤولية الجماعية: هي التي تجب في ذمة الجماعة، لا على أفراد معينين فيجب أن يقوم الجميع، أو بعضهم بأداء تلك المسؤولية، فإذا لم يقم الجميع ولا بعضهم بأدائها فيكون الجميع آثمين، ومؤاخذين.

---

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها (ص١٢٣) بتصرف يسير، تأليف: عاطف السيد.

(٢) التفسير الوسيط (١١/١٨٣).



والأساس المناسب لهذا التقسيم هو تقسيم الواجب الشرعي إلى الواجب العيني، وإلى الواجب الكفائي؛ لأن المسؤولية الفردية تتعلق بذمة الفرد بالذات، لا تسقط عنها إلا بقيامه بها شخصيًا ولا يتعدى جزاؤها إلى غيره" (١).

والمسؤولية الفردية مبدأ عظيم من مفاخر الإسلام، فلا تتحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل على كل نفس إثمها دون إثم غيرها.

وقد أعلن الحق جل جلاله هذا المبدأ في كثير من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(٢)

يقول الإمام الزحيلي:" والمبدأ في المسؤولية أمام الله: إنما هو المسؤولية الشخصية أو الفردية، فلا تحمل نفس إثم أو ذنب نفس أخرى، والوزر: الثقل، وإنما كل إنسان مطالب بأمر نفسه، من خير أو شر، والجزاء على قدر العمل، فإن مصيركم جميعًا أيها الخلائق إلى ربكم يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم من خير أو شر، إنه سبحانه وتعالى خبير بما تخفيه النفوس من أسرار، فلا تخفى على الله خافية. وهذا خبر يتضمن الحض على أن ينظر كل أحد في خاصة أمره، وما ينوبه في ذاته، كما يتضمن أيضًا أن مرجعهم في الآخرة إلى ربهم، أي: إلى ثوابه أو عقابه، فيطلع كل أحد على أعماله؛ لأنه تعالى المطلع على نيات الصدور وسرائر الأفئدة" (٣).

فالمسؤولية الفردية تعني تحمل الإنسان نتيجة اختياراته، وقراراته أمام الله، وأمام نفسه، وأمام الناس جميعًا.

---

(١) المسؤولية الفردية في القرآن الكريم (ص٨)، د/ فرقان الدين مهربان الهندي.

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

(٣) التفسير الوسيط (٢٢٢٥/٣).



المطلب الثالث:
إحياء واجب النصح والتوجيه كأداة لإصلاح المجتمع:

النصيحة باب عظيم في الدين، وهي من ركائز استقرار المجتمع، وآية النضج الفكري لمن يمارسها، ومن يتقبلها، وهي شعار الأنبياء والمرسلين، وقد مارسها الأنبياء مع أممهم وأقوامهم، كما حكي القرآن الكريم ذلك عنهم، حيث يقول الله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)، ويقول على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾(٢)، وعلى لسان نبيه صالح عليه السلام يقول: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾(٣)

يقول محمد المكي الناصري:" إسداء النصح إلى الخلق كان شعار الأنبياء والمرسلين واحدًا بعد الآخر، وأنهم بذلوا كل المستطاع، بل ما فوق المستطاع في سبيل هداية الخلق إلى الله، وإلى صراطه المستقيم، ولم تزل النصيحة دينًا متبعًا وسنة متوارثة، إلى أن أنزل الله الوحي على رسوله الكريم؛ فجدد الأمر بها، وأكدها الذكر الحكيم، وفرض الإسلام بمقتضى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية؛ تبادل النصح والإرشاد في شؤون الدين والدنيا على الراعي والرعية، لكن النصيحة لا تعتبر نصيحة في الإسلام؛ إلا إذا كانت خالية من

---

(١) سورة الأعراف الآية (٦٢).

(٢) سورة الأعراف الآية (٦٨).

(٣) سورة الأعراف الآية (٧٩).



كل غش، أو تدليس، أو خيانة، وخالصة من جميع الأغراض الشخصية[١].

" والنصح تحري الصلاح والخير للمنصوح، مع إخلاص النية من شوائب الرياء، يقال: نصحته، ونصحت له ... أي: أرشدته إلى ما فيه صلاحه. ويقال: رجل ناصح الجيب، إذا كان نقي القلب طاهر السريرة "[٢].

وقيل: " هي خلوص المحبة للمنصوح له، والتحري فيما يستدعيه حقه "[٣].

والنصيحة واجبة على كل إنسان بحسب قدراته، وإمكاناته التي منحها الله له، وحين شبه النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع بالسفينة التي تبحر في أعماق البحار وأمواجها المتلاطمة؛ أكد على أنه لن يكتب لها السلامة حتى يقوم الناصحون بدورهم في حمايتها، ممن يعبثون بها ويهددون أمنها، فإن قاموا بدورهم في النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي المنكر؛ فلا يضرهم ما وراء ذلك.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[٤]

يقول الإمام الزحيلي:" لا يضرّكم شيء إذا قمتم بواجب الإرشاد والنّصح، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكرات، فإن الله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٢/٢٤٦). للإمام: محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/١٩٨).

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٦/٤٣١)، للإمام: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ).

(٤) سورة المائدة الآية (١٠٥).



﴿أُخْرَىٰ ﴾[1]. ثم إلى الله المرجع والمآب، وسيجازي كل إنسان على عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ. وجملة ما قرّره أهل العلم في هذا أن النّصح أو الأمر بالمعروف متعيّن إن رجي القبول، أو رجي ردّ المظالم، ما لم يخف المرء ضررًا يلحقه في خاصته، أو فتنة يدخلها على المسلمين، فإذا خيف هذا، فعليكم أنفسكم بحكم واجب الوقوف عنده ... المسلم يكمل نفسه بالعمل الصالح، ويكمل غيره بالنصح، والإرشاد، أو بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا فرض لا يسقط إلا إذا وصل المرء إلى حال شديدة من الأذى، بحيث يتعرّض للهلاك لو وعظ غيره، ولا غرابة في هذا التوجه، فإن الحياة مدرسة، يستفيد الإنسان كثيرًا من الأشياء من مجتمعه، فإذا كان جاهلاً بقواعد وآداب المجتمع ازدراه الناس، فلا بد من أن يفيد ويستفيد، لتبادل المعلومات، وإقرار الأعراف الحسنة، التي لا تتصادم مع الشريعة في شيء، ولا يجزع الإنسان أو يتألم بعدئذ إذا لم يجد لكلمة الحق أذنًا صاغية، فإن القرار في النهاية والخلود للحق وأهله[2].

وبين القرآن الكريم أن النصح ينبغي أن يكون بلطف ولين، بحيث ترق له القلوب، ويبعث في النفوس الرغبة في التأمل فيما يلقى إليه من العظات؛ لأن النصح ثقيل، فهو إخراج للإنسان عن المألوف إلى غيره، وكما يقولون: الحقائق مُرّة فاستعيروا لها خِفّة البيان، وأن يكون من منطلق حب الإنسان لغيره ما يحبه لنفسه، وكره الإنسان لغيره ما يكره لنفسه، فهي من كمال إيمان الإنسان.

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٦٤)، والإسراء الآية (١٥)، وفاطر الآية (١٨)، والزمر الآية (٧).

(٢) التفسير الوسيط (٥١٢/١).

يقول الإمام الهرري في معرض تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1]: " وهذا تلطف منه في الإرشاد، بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح؛ حيث أراهم أنه أختار لهم ما يختار لنفسه"[2].

وبعد أن يستكمل الناصح كل أساليب النصح، ويستجمع جميع عبارات التحذير والتخويف، يقول إعذارًا لنفسه، وتهديدًا مُغَلَّفًا بأسلوب النصح والإشفاق ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[3]"[4].

المطلب الرابع:
الربط القرآني بين إيجابية العقل الجمعي والثواب، وسلبيته والعقاب.

كثيرًا ما يقف القرآن الكريم إيزاء صنفين من الناس لا يمكن الفصل بينهما، فما أن يذكر القرآن الكريم الصنف الأول إلا ويذكر الصنف الثاني المضاد له؛ فينتج عن تقابلهما عمقًا في المعنى، فضلاً عن التوجيهات العقدية والفكرية، فإن مقابلة الشيء بما يضاده؛ يسهم في تجليته ووضوحه، ويعكس ضرورة الانتباه إلى خصائص كل منهما، وما لكل منهما من الثواب والعقاب.

---

(١) سورة يس الآية (٢٢).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان (٥٠١/٢٣).

(٣) سورة غافر الآية (٤٤).

(٤) التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية (٦٤٤/٨).



كما يقول المتنبي:

وَنَذمهُمْ وبه عَرَفْنَا فَضْلَهُ ... وبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأشْيَاءُ[1].

ومن أمثلة هذا التقابل قول الله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2] ففي هذه الآيات الكريمات تتجلى قضية الوعد والوعيد، التي تكشف عن مصير الفريقين، فالوعد للمؤمنين الصالحين المتقين، والوعيد للعادين الباغين ومن شأن هذ التقابل بين مصير الفريقين؛ أن يبعث في النفس الشوق إلى النعيم المقيم، والخوف من العذاب الأليم.

يقول الإمام الزحيلي:" وفرق عظيم بين خلود أهل الجنة، حيث يتمتعون بالنعيم الدائم والأنس مع بعضهم، وبين خلود أهل النار حيث يذوقون أشد العذاب، مع إيحاش النفوس ونفرتها"[3].

ويقول الشيخ رشيد رضا:" فمدار الطاعة على البقاء في دائرة هذه الحدود وهي الشريعة، ومدار العصيان على اعتدائها؛ ولذلك وصل هذه الجملة المبينة كون تلك الأحكام حدودًا بذكر الجزاء على الطاعة، والعصيان مطلقًا"[1].

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه (٢٧٨)، للإمام: أبي الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (ت: ٣٩٢هـ).

(٢) سورة النساء الآية (١٣:١٤).

(٣) التفسير المنير (٤/٢٨٧).

ومن لطيف هذه الآية ما ذكره الإمام محيي الدين درويش بقوله:" في هذه الآية فنّ غريب يطلق عليه اسم "جمع المختلفة والمؤتلفة"؛ وحدّه بأنه عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين، أو مذمومين، أو اثنين أحدهما ممدوح والآخر مذموم، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بما لا ينقص من الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية، فقد جمع ضمير الخالدين في الجنة؛ لأن كل من دخل الجنة كان خالدًا فيها أبدًا، أو لتفاوت درجات الخالدين، أما أهل النار فبينهم الخالدون وغير الخالدين من عصاة المؤمنين، فساغ الجمع هناك ولم يسغ هنا؛ لأن الخالدين في النار فرقة واحدة، أما الخالدون في الجنان فهم طبقات بحسب تفاوت درجاتهم، وهذا من أسمى مراتب البيان"[٢].

ومن أمثلة هذا الربط القرآني العجيب قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[٣]

حيث اشتملت الآية على نموذجين من العقل الجمعي الإيجابي والسلبي، وربط القرآن الكريم بين إيجابية العقل الجمعي والثواب، وسلبيته والعقاب.

يقول الشيخ محمود حجازي:" هكذا نظام الله في الكون، وتلك سننه مع الخلق قديمًا وحديثًا، فاعتبروا واتعظوا أيها الناس، خاصة أنتم يا زعماء الشرك من

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٥٠/٤)، للإمام: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ).

(٢) إعراب القرآن (١٧٨/٢).

(٣) سورة الأعراف الآية (٩٦).



العرب، ولو أن أهل القرى التي كذبت رسلها، ولم تؤمن بربها، لو أنهم بدل الكفر آمنوا ومكان العصيان اتقوا؛ لفتح الله عليهم أنواع الخير من السماء والأرض، كالعلوم، والهداية والوحى، والإلهام، وكذا المطر، والسحاب، وسهل عليهم خير الأرض من نبات، ومعادن، وخصب، وكنوز. والمعنى: أنهم لو آمنوا ليسر الله لهم كل خير من كل جانب. ولكن كذبوا وكفروا فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر بما كانوا يكسبون ... فعلوا ما فعلوا فأخذهم الله بغتة، وعلى غرة منهم"[١].

فبينت الآية الكريمة أن السنة الإلهية قد جرت بفتح أبواب الخيرات للمحسنين، وبإنزال النقمة على المكذبين الضالين.

يقول الدكتور سيد طنطاوي:" والمعنى: ولو أن أهل تلك القرى المهلكة آمنوا بما جاء به الرسل، واتقوا ما حرمه الله عليهم؛ لآتيناهم بالخير من كل وجه، ولوسعنا عليه الرزق سعة عظيمة، ولعاشوا حياتهم عيشة رغدة لا يشوبها كدر، ولا يخالطها خوف. وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢] بيان لموقفهم الجحودى، أي: ولكنهم لم يؤمنوا ولم يتقوا بل كذبوا الرسل الذين جاءوا لهدايتهم فكانت نتيجة تكذيبهم وتماديهم في الضلال؛ أن عاقبناهم بالعقوبة التي تناسب جرمهم واكتسابهم للمعاصي، فتلك هي سنتنا التي لا تتخلف، نفتح للمؤمنين المتقين أبواب الخيرات، وننتقم من المكذبين الضالين بفنون العقوبات"[٣].

---

(١) التفسير الواضح (٧٤٤/١).

(٢) سورة الأعراف الآية (٩٦).

(٣) التفسير الوسيط (٣٥٥/٥).



المطلب الخامس:
دعوة القرآن الكريم إلى تحصيل المعرفة وتفعيل أدواتها.

لقد اعتنى القرآن الكريم بشأن المعرفة، ودعى الإنسان إلى تفعيل أدواتها؛ لإزالة الجهل عن نفسه، و لفهم أسرار الكون، واكتشاف أفاق العلوم والمعارف، إذ القرآن مصدر العلوم والمعارف ومنبع الحضارات والثقافات.

يقول الإمام الزحيلي:" بدأت دعوة الإسلام بالترغيب في القراءة والكتابة، وبيان أنها من آيات الله في خلقه، ومن رحمته بهم، وكانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وهو العربي الأمي؛ قرآنًا يتلى، وكتابًا يكتب، وأنه بذلك نقل أمته من حال الأمية والجهل إلى أفق النور والعلم" (١).

ويقول أيضًا:" أمر الله تعالى بتعلم القراءة والكتابة؛ لأنهما أداة معرفة علوم الدين والوحي، وإثبات العلوم السمعية ونقلها بين الناس، وأساس تقدم العلوم والمعارف والآداب والثقافات، ونمو الحضارة والمدنية"(٢).

إن المتدبر في أوائل الآيات التي نزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يجد أنها تضمنت الإشارة إلى أداتين أساسيتين، بهما يحصل التعلم وهما: القراءة والكتابة.

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب: وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٣)، أي: ومن كرمه سبحانه؛ أنه جعل من القلم الذي هو قطعة جامدة من الحطب، أو الخشب، أداة للعلم والمعرفة؛ ففتح به على الإنسان أبواب العلوم والمعارف، وجعل من ثماره هذه الكتب التي حفظت ثمار

---

(١) التفسير المنير (٣١٨/٣٠).

(٢) التفسير المنير (٣١٩/٣٠).

(٣) سورة العلق الآية (٤:٥).



العقول، فكانت ميراثًا للعلماء يرثها الخلف عن السلف، وينميها ويثمرها العلماء جيلاً بعد جيل، وبهذا تعلم الإنسان ما لم يكن يعلم، وبعلمه هذا المستفاد من سلفه، فتح أبوابًا جديدة من العلم يتلقاها عنه من بعده، ويفعل فعله، بما يفتح من أبواب جديدة للعلم، وهكذا تتسع معارف الإنسان، ويزداد علمه على مدى الأجيال، وهذا يعني أن الإنسانية متطورة، وسائرة نحو الأمام بما تتوارث أجيالها من ثمار العقول، التي يتركها السلف للخلف، جيلاً بعد جيل، وهكذا يذهب الناس، كأجساد، وتبقى غراس عقولهم، وثمار أفكارهم"(١).

وتعظيمًا لشأن الكتابة في تحصيل العلم؛ أقسم الله تعالى بالقلم، ولا يقسم سبحانه بشيء إلا إذا كان عنده عظيمًا، قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾(٢)

يقول الإمام الزحيلي:" والقسم بالقلم وما يكتب به إشارة إلى عظم النعمة بهما، وأنهما من أجل النعم على الإنسان بعد النطق والبيان، فهما طريق التثقيف وانتشار العلوم والمعارف بين الجماعات والأمم والأفراد، ودليل على ما تقدم الأمم والشعوب ونبوغها"(٣).

ويقول الإمام المراغي:" وقد أقسم سبحانه بالقلم والكتب؛ فتحا لباب التعليم بهما، ولا يقسم ربنا إلا بالأمور العظام فإذا أقسم بالشمس والقمر، والليل والفجر فإنما ذلك لعظمة الخلق، وجمال الصنع، وإذا أقسم بالقلم والكتب؛ فإنما ذاك ليعمّ العلم والعرفان، وبه تتهذب النفوس، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية"(٤).

---

(١) التفسير القرآني (١٦/١٦٢٥).

(٢) سورة القلم الآية (١).

(٣) التفسير المنير (٢٩/٤٥).

(٤) تفسير المراغي (٢٩/٢٧).



قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1] .

يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب:" وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ توجيه للقوى العاقلة المدركة في الإنسان أن تؤدى وظيفتها فيه، وأن يفتح الإنسان منها طاقة على هذاالوجود، فيرى ما لبسه من نعم الله عليه، وإحسانه إليه، فيحمده، ويشكر له[2].

يقول الشيخ علوان:" إذ الله المبدئ المبدع قد أخرجكم وأظهركم أولاً من بطون أمهاتكم، وأنتم حينئذ خالون عن مطلق الإدراك، بحيث لا تعلمون شيئًا من المعلومات أصلاً، وجعل وهيأ لشعوركم، ودرككم أسبابًا وأدوات تعلمون بها أنواعًا من العلوم، حيث هيأ لكم السمع؛ لإدراك المسموعات الجزئية، والأبصار لإدراك المبصرات الجزئية، والأفئدة لإدراك الكليات، والجزئيات، والمناسبات، والمباينات الواقعة بين العلوم والإدراكات، كل ذلك قد صدر عنه سبحانه بمقتضى القدرة والإرادة الإلهية، لعلكم تشكرون"[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾[4]

---

(١) سورة النحل الآية (٧٨).

(٢) التفسير القرآني (٧/٣٣٥).

(٣) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (٤٣٤/١)، المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ).

(٤) سورة التوبة الآية (١٢٢).

يقول الإمام الزحيلي:" فإذا زالت الظروف الخطرة المحدقة وكثر المؤمنون، واستقرت الأحوال، وهدأت البلاد، صار الجهاد فرض كفاية على فئة من الناس، وكان على الباقين مناصرتهم، والتفرغ لشؤون الحياة، والاسهام في إقامة صرح المدنية والحضارة، من طريق تنمية العلوم والمعارف، وازدهار الحقل العلمي بالمتابعة، والتأمل والتجربة، والتجديد[١].

المطلب السادس:
جعل الغايات والعواقب محركًا لإرادة الناس، ودافعًا لإصلاح العقل الجمعي:

لقد اهتم الشرع الشريف بجعل الغايات والعواقب منطلقًا رئيسيًا لتوجيه سلوكيات الناس وأفعالهم، ودفعهم نحو النظر في العواقب، وتقييم الأفعال بناء على ما تنتجه من خير أو شر، مما يعظم دور المآلات والعواقب في منظومة إصلاح العقل الجمعي، التي تسعى إلى بناء مجتمع معتدل فكريًا وأخلاقيًا.

فيقول الإمام ابن عاشور:" حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد، ولا تعتمد ملاءمة الطبع ومنافرته، إذ يكره الطبع شيئًا وفيه نفعه، وقد يحب شيئا وفيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات؛ فإن الشيء قد يكون لذيذًا ملائمًا ولكن ارتكابه يفضي إلى الهلاك، وقد يكون كريهًا منافرًا وفي ارتكابه صلاح، وشأن جمهور الناس الغفلة عن العاقبة، والغاية، أو جهلهما، فكانت الشرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرض الناس على الأفعال والتروك باعتبار الغايات والعواقب"[٢].

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (١/٩٣٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٣٢١).



وقد خص الله تعالى أولي الألباب بالخطاب في كثير من مهمات الأمور بهذا الفهم العميق، كما جاء في كثير من النصوص القرآنية، التي تدعو إلى إعمال الفكر والنظر، مما يعكس شمولية المنهج القرآني في استنهاض الوعي الجمعي وتقويته، حيث يقول تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١]

يقول صاحب المنار:" وإنما خص أولي الألباب بالذكر في عجز الآية بعد مخاطبة كل مكلف في صدرها؛ لأن أهل البصيرة والرؤية من العقلاء، هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور، التي تدل عليها أوائلها ومقدماتها، بعد التأمل في حقيقتها وصفاتها، فلا يصرون على الغرور بكثرة الخبيث بعد التنبيه والتذكير، وأما الأغرار والغافلون الذين لم يمرنوا عقولهم على الاستقلال في النظر، والاعتبار بالتجارب والحكم؛ فلا يفيدهم وعظ واعظ ولا تذكير مذكر، بل لا يعتبرون بما يرون بأعينهم ويسمعون بآذانهم، من حوادث الأغنياء الذين ذهبت أموالهم الكثيرة المجموعة من الحرام، ولا من عواقب الأمم والدول التي اضمحلت كثرتها العاطلة من فضيلتي العلم والنظام، وكيف ورث هؤلاء وأولئك من كانوا أقل مالاً ورجالاً، إذ كانوا أفضل أخلاقًا وأعمالاً، والعاقبة للمتقين [٢].

وينقل ابن مفلح المقدسي عن أبي الفرج قوله:" إنما فضل العقل على الحس بالنظر في العواقب، فإن الحس لا يرى الحاضر، والعقل يلاحظ الآخرة، ويعمل على ما يتصور أن يقع، فلا ينبغي للعاقل أن يغفل عن تلمح العواقب فمن ذلك: أن التكاسل في طلب العلم، وإيثار عاجل الراحة؛ يوجب حسرات دائمة لا

---

(١) سورة المائدة الآية (١٠٠).

(٢) تفسير المنار (١٠٥/٧).

تفي لذة البطالة بمعشار تلك الحسرة، ولقد كان يجلس إلي أخي وهو عامي فقير، فأقول في نفسي قد تساوينا في هذه اللحظة فأين تعبي في طلب العلم؟ وأين لذة بطالته؟[١].

المطلب السابع:
تحديد القرآن الكريم معيار المفاضلة بين الأشياء بصفتها لا بعددها، وبجوهرها لا بكثرتها.

لئن كان الله جل جلاله قد ذكر الكثرة مادحًا لها في مواطن من كتابه العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ ﴾[٢] أي: كنتم مستضعفين لقلتكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم؛ فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك[٣]، إلا أنه في مواضع أخر لا يعبأ بالجانب الكمي، بل يمدح القلة المؤمنة؛ لما تتحلى به من الصفات المؤهلة لتحقيق الخيرة، فيعلي من شأن العامل الكيفي، وينفي المساواة بين الكثير الخبيث، والقليل الطيب.

حيث يقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٤]

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/٢٢٩)، للإمام: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبي عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ).

(٢) سورة الأعراف الآية (٨٦).

(٣) مفاتيح الغيب (٣٨٤/٢٦ وما بعدها).

(٤) سورة المائدة الآية (١٠٠).

يقول الشيخ رشيد رضا:" القليل الطيب من الناس خير من الكثير الخبيث، فالفئة القليلة من أهل الشجاعة، والثبات، والإيمان تغلب الفئة الكثيرة من ذوي الجبن، والتخاذل، والشرك، وإن أفرادًا من أولي البصيرة والرأي؛ ليأتون بما يعجز عنه الجماعات من أهل الغباوة والخرق، والعالم الحكيم يسخر لخدمته ألوف من الجاهلين"[١].

ويقول أيضًا:" وجاءت هذه الآية بالقاعدة العامة، وهي: أن العبرة بصفة الشيء لا بعدده، وإنما تكون العزة بالكثرة بعد التساوي في الصفات"[٢].

وقد بين القرآن الكريم أن الكثرة ليست دائمًا سببًا للانتصار والغلبة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣]

يقول الإمام أبو حيان:" والمعنى: أنا لا نكترث بجالوت وجنوده وإن كثروا، فإن الكثرة ليست سببًا للانتصار، فكثيرًا ما انتصر القليل على الكثير، ولما كان قد سبق ذلك في الأزمان الماضية وعلموا بذلك؛ أخبروا بصيغة: كم المقتضية للتكثر"[٤].

وأوضح القرآن الكريم أن التكاليف الشاقة لا ينهض للوفاء بها إلا القليل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن

---

(١) تفسير المنار (١٠٤/٧).

(٢) تفسير المنار (١٠٤/٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٩).

(٤) البحر المحيط (٥٩١/٢)



﴿... دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[١]

ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون اجتماع الناس على الشيء مدعاة لقبوله فالكثرة لا تعطي الرأي قوة، والوصول إلى الحقائق لا يكون عن طريق الكم، وإنما عن طريق الكيف، وقوة الأراء تتجلى في قوة براهينها وأدلتها، وليس في كثرة من يعتنقونها أو يروجون لها.

يقول الشيخ أبو زهرة:" وليس الحق دائمًا مع الكثرة، بل قد تكون الكثرة على غير الحق، بل إنه ثبت من التحليل للعقلية الجماعية؛ أنها لَا تدرك ما يدركه المتفكر في خاصة نفسه، وذلك لأن الجماعات تغلب عليها العاطفة الجماهيرية، ولا يكون مجال لتمحيصها، ولعل هذا هو ما يرمي إليه النص القرآني في وصف تفكير أكثر من في الأرض، إذ يقول سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٢]، ومهما يكن فإن الآية الكريمة تدل على أمرين:

أولهما: أن الاتباع عن غير بينة لَا يجوز، بل إنه يجب النظر والبحث، وأن اتباع الجماعات من غير دراسة لَا يجوز، وأن الجماعات يغلب على تفكيرها الحدس والتخمين، ولا يسودها التفكير والدرس العميق والمنطق السليم.

ثانيهما: أن قوة الآراء ليست بكثرة معتنقيها، وإنما بقوة ما فيها من دليل[٣].

(١) سورة النساء الآية (٦٦).

(٢) سورة يونس الآية (٦٦).

(٣) زهرة التفاسير (٥/٢٦٤١)، للإمام: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ).



لقد دعا القرآن الكريم الإنسان أن يتفكر في مهمات القضايا بعدل ونصفة، وأمره أن ينعزل بفكره وجسده عن محيطه، حتى لا يقع أسيرًا للفكر السائد، وفريسة سهلة للعقل الجمعي القاهر، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[(١)]

يقول الشيخ سعيد حوى:"والحكمة في تفرّقهم مثنى وفرادى؛ أنّ الاجتماع مما يشوّش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الرؤية، ويقل الإنصاف فيه، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصّب، ولا يسمع فيه إلا نصرة المذهب، أما الاثنان فيتفكران، ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر الصدق، والإنصاف، حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق، وكذلك الفرد يتفكّر في نفسه بعدل ونصفة، ويعرض فكره على عقله "[(٢)].

يقول د/ عبد الكريم بكار:"هذه دعوة من الله تعالى لمن يريد الوصول إلى الحقيقة بأن ينعزل بوعيه وجسمه عن الوسط الذي يعيش فيه، وعن أفكاره ومفاهيمه، ورواسبه ومقولاته؛ ثم يقوم بالتفكر والتأمل ليرى الأشياء بعيدًا عن سلطة الجماهير، وسلطة العقل الجمعي القاهر، ولا بأس أن ينعزل اثنان عن ذلك الوسط من أجل التحاور وتلقيح الأفكار في سبيل استبانة الحق، وفهم الأمور على ماهي عليه، هذه العملية ليست سهلة إنها أشبه بانفصال الرضيع عن أمه؛ لهذا فإنها تحتاج إلى طاقة روحية، ويصحبها الكثير من الآلام؛

---

(١) سورة سبأ الآية (٤٦).

(٢) الأساس في التفسير (٤٥٤٧/٨).



وأحيانًا الكثير من المخاطر، لكن ليس أمام المفكر من أجل تحرير فكره من سلطان العادات والتقاليد، والمفاهيم الرائجة أي طريق آخر[١].

المطلب الثامن:
خطاب القرآن للعقل والفطرة لتحقيق الاستفادة منهما والرجوع إليهما.

لقد وهب الله تعالى الإنسان فطرة سليمة وعقلاً راشدًا، ومتى بقيت الفطرة على نقائها وصفائها، والعقل على رشده؛ أمكن للإنسان أن يحقق الاستفادة منهما.

ومن رأفته سبحانه وتعالى بخلقه؛ أن جعل الفطرة الإنسانية مائلة بطبعها إلى الخير، مبغضة للشر؛ فالإنسان بفطرته قادر على أن يميز بين الحسن والقبيح، كما أن التميز بين الصواب والخطأ؛ تدركه العقول بالنظر الصحيح، فالعقل والفطرة داعين إلى الخير زاجرين عن الشر.

ففي خطاب القرآن للفطرة يقول الله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا** ﴾[٢]، أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة[٣].

---

(١) ينظر: تكوين المفكر خطوات عملية (ص٦٤)، أ د/ عبد الكريم بكار.

(٢) سورة الشمس الآية (٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤١١/٨).



وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

يقول الإمام الزحيلي:" وهذا خطاب للنّبي صلّى الله عليه وسلم ولأمّته، وهو يدلّ على أن كل إنسان مخلوق على التوحيد والإقرار بوجود الله ووحدانيته، ولكن تعرض له العوارض فيزيغ عن سنن الفطرة[2].

وفي خطاب العقل يقول الله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3]

يقول الإمام ابن باديس:" لكل إنسان فطرته وعقله، فعلينا إذا دعينا إلى شيء أن نعرضه عليهما، راجعين إلى الفطرة الإنسانية وإلى العقل البشري، منزهين عن الأغراض، والأهواء، والأوهام، والشبهات، فإذا كان هلاك هؤلاء بعدم الاستفادة منهما، فإن النجاة عندما تعرض الأمور بالرجوع إليهما، ونجد القرآن العظيم يخاطب العقل والفطرة؛ ليعلمنا الرجوع إليهما والاستفادة منهما[4].

ولما كانت الفطرة الإنسانية قد يعتريها الزيغ، ولا بد من هاد مرشد؛ جعل الله تعالى من مهمة الرسول تقويم ما أعوج منها، وأن يعيد الفطرة إلى نقائها حتى لا تغمرها الشوائب، وأن يحررها مما يصيبها من انحراف.

---

(١) سورة الروم الآية (٣٠).

(٢) التفسير الوسيط (١٩٩٨/٣).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٢٢).

(٤) تفسير ابن باديس (ص٣٠٢)، للإمام: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ).



يقول الشيخ سعيد حوى:" ومهمة الرسول أن يبلغ ويبين، ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام، وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق؛ وأن يرسم له منهج التلقي الصحيح، ومنهج النظر الصحيح؛ وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العملية، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة[١].

المطلب التاسع:
تعزيز القرآن الكريم من مفاهيم الحوار والتشاور ضمانًا لاتخاذ القرارات الجماعية الصحيحة.

لقد رسخ القرآن الكريم مبدأ الشورى، وأسسه في الأمة كمقوم من مقومات انحراف العقل الجمعي، وحصنًا للمجتمع من الانحرافات الفكرية التي تصيبه، وتحقيقًا لإعلاء شأن المصلحة العامة، وتعزيزًا لدور الفرد في مجتمعه.

وقد أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢]، أي: تعرف على آرائهم في سياسة الأمة في الحرب، والسلم، وشؤون الحياة الدنيوية؛ تطييبًا لقلوبهم، وليستن بك، وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم[٣].

(١) الأساس في التفسير (١٢٤٠/٢).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٩).
(٣) التفسير المنير (١٣٩/٤).



ومع ترسيخ القرآن لهذا المبدأ العظيم في آياته، كما هو الحال في مدح الله تعالى الفضلاء بقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[١]، إلا أنه لم يضع له قاعدة، أو نظامًا معينًا، وذلك لحكم وأسباب:

منها: أن هذا الأمر يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية في الزمان والمكان.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لو وضع قواعد مؤقتة للشورى بحسب حاجة ذلك الزمن؛ لاتخذها المسلمون دينًا، وحاولوا العمل بها في كل زمان ومكان.

ومنها: أنه لو وضع تلك القواعد من عند نفسه صلى الله عليه وسلم؛ لكان غير عامل بالشورى، وذلك محال في حقه؛ لأنه معصوم من مخالفة أمر الله[٢].

وقد يقول قائل: إن الكثرة تغلب في الآراء عند الشورى، فلا يغلب رأي القلة، وإن كان معقولاً، فكيف رأى الكثرة في العقل الجمعي غير صحيح؟

ويجيب الشيخ أبو زهرة عن هذا التساؤل بقوله:" إن أساس الشورى الرضا بالعمل، ورأى الكثرة اتباعه هو الدليل على النزول على رضا الجماعة، والنبي صلى الله عليه وسلم نزل على رأي الكثرة عند الشورى في حرب أحد، ولو كان رأيه غير ذلك. فإذا كان الناس يضلون في تفكيرهم الجماعي، فلا تطعهم لأنهم يظنون ظنًا، والظن لَا يغني من الحق، فإن الله هو الذي يعلم من يضل، ومن يهديه"[٣].

---

(١) سورة الشورى الآية (٣٨).

(٢) تفسير المنار بتصرف كبير (١٦٥/٤).

(٣) زهرة التفاسير (٢٦٤١/٥).



وثمة فروق بين مبدأ الشورى والعقل الجمعي:

الشورى منهج قرآني يستند إلى التفكير العقلاني، وإطلاق العنان للعقل؛ ليبدع ويفكر بعيدًا عن التحيز، أو التحزب، أو الهيمنة الاجتماعية، أو النفوذ المجتمعي؛ فيصل إلى الحق والصواب، بينما العقل الجمعي سلوك جماعي تغيب فيه الموازين العقلية، ويهيمن فيه الفكر السائد، أو الانقياد للمجموع، أو العادات الموروثة، أو التأثر بالمشاعر؛ فينتج عنه قرارارت غير حقيقية وغير صائبة.

الشورى تسعى إلى الوصول للحل الأمثل، وتحقيق المصلحة العامة بناء على نقاشات منطقية ومشاركين محددين، بينما العقل الجمعي ليست له آلية واضحة؛ بل هو توجه جماعي تشكل تلقائيًا داخل المجتمع، يميل الفرد فيه أحيانًا إلى ما يحقق المصلحة الخاصة، أو الميل إلى ما يوافق الأهواء والميول، ويعكس اتجاهات الأغلبية التي ربما تكون خاطئة في كثير من الأحيان.

الشورى مرتبطة بالقيم الدينية، والمبادئ الأخلاقية، وتهدف إلى تحقيق العدالة والوصول إلى الحق والصواب، وتعزز دور الفرد في تحمل المسؤولية؛ بينما العقل الجمعي ربما تجاوز تلك القيم الدينية، والمبادئ الأخلاقية تحت هيمنة الجماعة وسلطانها القاهر؛ مما يجعل الفرد ينصهر داخل الجماعة، ويسير في ركبهم دون فكر أو نظر.

يقول الإمام الزحيلي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ** ﴾[1]:" المشاورة أمر مطلوب في كل شيء، عام أو خاص، ما لم يكن سرًا؛ لأنها تحقق نفعًا ملحوظًا للتوصل إلى

---

(١) سورة النمل الآية (٣٢).



أفضل الآراء وأصوبها، وخصوصًا في الحروب والمصالحات، وقضايا الأمة العامة، فإنه ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الناس مشاورة، قال الله له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(١) إما استعانة بالآراء، وإما مداراة للأولياء"(٢).

والحكمة التي من أجلها شرعت الشورى؛ أن لكل إنسان إدراكًا خاصًا للحقيقة، ونصيبًا خاصًا من الحق، يميزه عن غيره، فقد يفتح الله تعالى لأحد من خلقه في أمر ما، ما لا يفتحه لمن هو أرفع منزلة منه.

وهذا ما ذكره الإمام محيي الدين ابن العربي بقوله:" والسبب الموجب للمشورة كون الحق له وجه خاص في كل موجود، لا يكون لغير ذلك الموجود، فقد يلقى إليه الحق سبحانه في أمر ما، ما لا يلقيه لمن هو أعلى منه طبقة" (٣).

وليس كل أحد يصلح أن تأخذ المشورة منه، يقول الشيخ: عبد القادر العاني:" وعلى المستشير ألا يشاور من لا يثق به ولا يحبه، ولذلك قالوا: سبعة لا يشاورون: جاهل لأنه يضل، وعدو لأنه يريد الهلاك، وحسود لأنه يتمنى زوال النعمة، ومراء لأنه يقف مع رضاء الناس، وجبان لأنه يهرب من كل ما يرعب فلا يميل إلا إلى سفاسف الأمور، وبخيل لأنه يحرص على ماله فهو على نفسه أحرص، فلا رأي له في العز، وذوي هوى؛ لأنه أسير هواه، فلا خير في رأيه"(٤).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).

(٢) التفسير المنير (٢٩٧/١٩).

(٣) الفتوحات المكية (٤٢٣/٢)، للإمام: أبي محمد بن علي بن محمد ابن العربي الأندلسي (ت٦٣٨هـ).

(٤) بيان المعاني (٤٢١/٥). للشيخ: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ).



الخاتمة:

وفي نهاية البحث أضع بين يدي القارئ أهم نتائجه والتوصيات المستخلصة منه.

تمخض هذا البحث عن عدة نتائج منها:

١- التأكيد على اشتمال القرآن الكريم على الحلول الناجعة لكل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات.

٢- نجح القرآن في تقديم علاجات شاملة لانحرافات العقل الجمعي، واستطاع أن يقدم منهجًا شاملاً، يركز على التفكير، ونبذ التقليد، والاستقلالية في النظر، وغير ذلك.

٣- عزز القرآن الكريم من مكانة العقل الفردي، وجعله الحارث على الكيان الاجتماعي والثقافي، وأمينًا له، ودعاه إلى التحرر من المعتقدات الخاطئة، وفتح المجال لغيره للتحرر من بعده، والخروج من دائرة التبعية والمحاكاة .

٤- طريق العقل الجمعي إلى الحكم على المسائل هو القناعات المسبقة، وعدم تقصي الحقائق، ولا يمكن للعقل أن يحقق الاستقلال في الفكر؛ إلا إذا تحرر من الأسبقيات الفكرية.

٥- لا يمكن للعقل أن يؤدي دوره من غير أن يكون هناك أشياء تضبطه، وتحول بينه وبين الهوى، والأوهام، والتحيز، وتقديم المصلحة الفردية.

٦- الانصياع وراء العقل الجمعي السلبي يدفع الشباب إلى تبني أهداف غير نبيلة، ونشر معتقدات ضالة.



التوصيات:

١- تعزيز الدراسات الأكاديمية التي تكشف النقاب عن منهج القرآن الكريم في التعامل مع الانحراف الفكري.

٢- نهوض علماء الأمة ومفكريها بدورهم تجاه مجتماعتهم، والتركيز على تعليم الأجيال المبادئ القرآنية المتعلقة بإصلاح المجتمعات، واعتماد هذه المناهج كمرجعية فكرية، وأخلاقية، ودمجها في المناهج الدراسية والتعليمية.

٣- العمل على تهيئة المناخات، التي تشكل البيئة الصالحة، والأرض الخصبة؛ لإنجاب عقل قادر على تحقيق الاستقلال في الفكر، دون أن يحيد عن الفطرة.



فهرس المصـادر والمراجـع

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.

٢. الأساس في السنة وفقهها، تأليف: سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٣. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة : الرابعة ١٤١٥ هـ.

٤. الأمن الفكري مستويات التفكير واتجاهات التطبيق، د/ عبد الرحمن سليمان النملة، مجلة فكر، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، العدد ١١ لعام ٢٠١٥م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٦. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي جميل، الناشر: دار الفكر ببيروت، عام: ١٤٢٠هـ.

٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي



النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦

٨. بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، ١٩٦٥م.

٩. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير كتاب المجيد، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية، سنة: ١٩٨٤م.

١٠. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد، الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، عدد الأجزاء: ١

١١. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، عدد الأجزاء: ١، الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.

١٢. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥.

١٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين علي خليفة القلموني الحسيني



(ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٤. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

١٥. تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١٧. التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ

١٨. التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء : ٣ مجلدات.

١٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، عدد المجلدات: ١٠ مجلدات.

٢٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة ١٩٩٧م.

٢١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف



ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، لطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٢. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٠٠

٢٣. تكوين المفكر خطوات عملية، أد/ عبد الكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الثانية، عام ٢٠١٠م.

٢٤. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٢٦. التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م

٢٧. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.



٢٨. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣

٢٩. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى عام ١٤١١هـ، عدد الأجزاء: ١

٣٠. الحدود في الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه)، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١

٣١. روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.

٣٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ١

٣٤. زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.



٣٥. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٣٦. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء:٦

٣٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣٨. صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦)، المحقق: محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٩. العقل الجمعي الإلكتروني وأزمة الوعي: دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، حولية كلية الآداب جامعة عين شمس، إعداد: بروين حسين علي، المجلد ٥١ عدد أكتوبر – ديسمبر سنة ٢٠٢٣م.

٤٠. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٥

٤١. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.



٤٢. الفتوحات المكية، للإمام أبي محمد بن علي بن محمد ابن العربي الأندلسي (ت٦٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى.

٤٣. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٤. كتاب الأذكياء، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، الناشر: مكتبة الغزالي، عدد الأجزاء: ١

٤٥. كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨

٤٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٤٧. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٤٩. مسألة القضاء والقدر في الفكر الإسلامي وتأثيرها على واقعنا المعاش من الطرح الفقهي وتشكيله للعقل الجمعي إلى تصور محمد شحرور للمسألة،



للباحث: مبارك بو على، بحث بمجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي بالجزائر، المجلد (٧) العدد (١) سنة ٢٠٢٢م.

٥٠. المستصفى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء:

٥١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥

٥٢. المسؤولية الفردية في القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، د/ فرقان الدين مهربان الهندي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤٠٥هـ.

٥٣. المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية، تصدير: د/ إبراهيم مدكور، طبعة الهيئة العامة لشؤن للمطابع الأميرية عام ١٩٨٣م.

٥٤. معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة د/ إبراهيم مدكور، دار النشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٩٧٥م.

٥٥. المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة الطبعة: الثانية.

٥٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٧. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٨. مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٥٩. مواقع التواصل الاجتماعي والعقل الجمعي، دراسة استقرائية، د/ نوف عبد اللطيف الحزامي، كلية الآداب جامعة الملك سعود، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية المجلد الواحد والعشرين العدد الثاني ٢٠٢١م.

٦٠. موسوعة علم النفس الحديث دراسات في الجنوح والانحراف، تأليف: محمد عبد الرحمن العيسوي.

٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

٦٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه، المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: ١

٦٣. موقع مجمع اللغة العربية : https://www.arabicacademy.gov.eg

٦٤. دوامة العقل الجمعي، موقع السراج الرابط https://alseraj.net/speech